البناء التَّركيبي في قصيدة " مديحك كالمسك " لابن سناء الملك في مدح القاضي الفاضل

"دراسة بلاغية نقدية".

إعداد

الدكتورة / آمنة الظريف محمد الأعصر

مدرس البلاغة والنَّقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

البناء التَّركيبي في قصيدة " مديحك كالمسك " لابن سناء الملك في مدح القاضي الفاضل "دراسة بلاغية نقدية".

آمنة الظريف محمد الأعصر
قسم البلاغة والنَّقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الزقازيق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الالكتروني: aaelaaser@kku.edu.sa

ملخص البحث: تكمن أهمية هذا البحث في أنه يدرس قصيدة من شعر ابن سناء الملك دراسة بلاغية، نستعرض من خلالها توظيف الألفاظ من النواحي الجمالية، والإبداعية التي تفرد بها، وأنه يضيف للمكتبة البلاغة التطبيقية دراسة وافية لقصيدة من أروع قصائد الشعر العربي وهي قصيدة ابن سناء الملك، **ويهدف البحث إلى** الوقوف على كيفية أداء الشاعر لمعانيه التي رمى إليها، والكشف عن وسائله البيانية وأنماطه التعبيرية التي تفرد بها، والوقوف على آلية تشكيل الصورة البيانية على اختلاف أنواعها، بداية من اختيار العناصرالمكونة لها، وانتهاء بإتمام بنائها على الوجه الدال على المراد المحقق للغاية، مرورًا بتضافر لبنات الصورة وتلاحمها داخل الإطار الكلي، وإيضاح الدلالات البلاغية لألفاظ القصيدة وتراكيبها، والكشف عن الصور البيانية والمعاني الكامنة من خلال الأغراض التي يحددها السياق، وأمَّا عن منهج الباحثة فى هذه الدراسة، فهو منهج تحليلي تعليلي يحاول بيان أسرار التركيب، مميطا اللثام عن خصوصات البناء والتصوير الذي يعتمد على التذوق أولًا، وعلى البحث عن السر الجمالي ثانيا، فقد أمعنت من خلالها النظرَ في العبارات والتراكيب، وحاولت أن تحلل التّعبير تحليلًا دقيقًا، وقد هدفت من وراء ذلك الربط بين الألفاظ المستخدمة والمعاني التي تعبر عنها تلك الألفاظ.

الكلمات المفتاحية: البناء التركيبي، قصيدة، مديحك كالمسك، ابن سناء الملك، نقدية.

Structural construction in the poem "Your praise is like musk" by Ibn Sana Al-Malik, in praise of the virtuous judge, "a critical rhetorical study".

Amna Al-Zarif Muhammad Al-Aasar
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
E-mail: aaelaaser@kku.edu.sa

Abstract : The importance of this research lies in the fact that it studies a poem from Ibn Sana Al-Malik's poetry as a rhetorical study, through which we review the use of words from the aesthetic and creative aspects that are unique to them, and that it adds to the Applied Rhetoric Library a comprehensive study of one of the most wonderful poems of Arabic poetry, which is Ibn Sana's poem King, and the research aims to determine how the poet performs the meanings that he aimed at, and to reveal his graphic means and expressive patterns that are unique to them, and to stand on the mechanism of forming the graphic image of its various types, starting from the selection of its constituent elements, and ending with the completion of its construction on the face indicative of the intended objective. Extremely, passing through the intertwining of the image blocks and their cohesion within the overall framework, clarifying the rhetorical connotations of the poem's words and their structures, and revealing the graphic images and the underlying meanings through the purposes determined by the context. On the peculiarities of construction and photography, which depends on taste first, and on the search for the aesthetic secret second, through which I studied the expressions and structures, and tried to analyze the To express an accurate analysis, I aimed to link between the words used and the meanings expressed by those words.

Keywords: Structural construction, A poem, Your praise is like musk, Ibn Sana Al-Malik, Criticism.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مكور الليل على النهار أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه، وأساله المزيد من فضله وكرمه، وصلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على سيدنا محمد إمام المتقين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلأي أمة من الأمم تراثها الذي تحتفظ به وتستسقي منه مقومات فكرها، فاللغة العربية وآدابها وعاء الإسلام وترجمان القرآن الكريم، ومن هنا كانت العناية بها وفهمها وتذوقها شعرًا أو نثرًا من أهم الوسائل التي لا بد منها، وكان لزامًا على أبنائها أن يحافظوا على مقوماتها لتبقى متميزة بفنها الأدبي من خلال اللغة العربية وآدابها، ويكون هذا النتاج حلقة متواصلة الأطراف محكمة النَّظم، فكانت عناية الباحثين بالأدب العربي شعرًا ونثرًا، وشعر المديح يشغل الحيز الأكبر في الشِّعر، وهو من أقدم الفنون الأدبية ، " وقد تفنن الشُّعراء في مديحهم فامتدحوا الإنسان بوصف خلقته ومعرفته بالأمور وقياسها بمقياسها الصحيح ، ومدحوا بالحياء ، والسياسة والكفاية، والعلم، والحلم"[1]

و(يجب ألا يفوت علينا أنَّ فن المديح من أقدم الفنون آلهتهم وحاولوا أن يقلدوهم في محاسن أخلاقهم وطبائعهم من نصرة أبناء قومهم وشجاعتهم والقضاء على المخاطر التي تحيط بهم.[2]

---

١ نقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى: ٣٣٧هـ، النَّاشر: مطبعة الجوانب – قسطنطنية، الطَّبعة: الأولى ١٣٠٢هـ. ص ٢١

٢ فنون الأدب العربي المديح في الأدب العربي لسامي الدَّهان، النَّاشر: دار المعارف، الطَّبعة: الخامسة ص ٢٥.

فالمدح فن عريق له قيمته التّعبيرية في الشِّعر العربي، وقدرته الكبيرة على التأثير في المتلقي.

ومن هنا كان اختياري لموضوع البحث:

البناء التَّركيبي في قصيدة " مديحك كالمسك " لابن سناء الملك في مدح القاضي الفاضل "دراسة بلاغية نقدية."

وقد دفعني إلى العمل في هذا البحث أسباب منها :

أولا: لم أجد أحدًا من الباحثين قد تناول هذه القصيدة بالشرح والتفصيل، فأردت أن أميط اللثام عن بلاغتها، يضاف إلى هذا عدم اهتمام الدارسين المحدثين بشعر هذا الشَّاعر، مما يعني قلة المراجع، وهذا فى حد ذاته عقبة أعاننى الله عليها.

ثانيا : خلو ديوان ابن سناء الملك من الإيضاح، والاقتصار على شرح بعض المفردات اللغوية، فلم أجد من تناول شعر هذا الشَّاعر بالدراسة الوافية والبحث المتأنى، مما يعنى قلة بل ندرة المراجع التي تناولت فن المديح عند الشاعر ودراسته دراسة بلاغية.

ثالثا :ما اشتهر به الشَّاعر من تعدد أغراضه، وجزالة أسلوبه، فالشَّاعر له ديوان حافل وواسع بجميع أغراض الشِّعر.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يدرس قصيدة من شعر ابن سناء الملك دراسة بلاغية، تستعرض الباحثة من خلالها توظيف الألفاظ من النواحي الجمالية، والإبداعية التي تفرد بها، وأنه سيضيف للمكتبة العربية دراسة وافية لقصيدة من قصائد الشعر العربي وهي قصيدة ابن سناء الملك في مدح القاضي الفاضل..

أهداف البحث:

-الوقوف على كيفية أداء الشاعر لمعانيه التي رمى إليها، والكشف عن وسائله البلاغية وأنماطه التعبيرية التي تفرد بها.

-إيضاح الدلالات البلاغية لألفاظ القصيدة وتراكيبها.

- الكشف عن الصور البيانية والمعاني الكامنة من خلال الأغراض التي يحددها السياق، إذا تطلبها المقام واستدعاها.

الدراسات السابقة:

-بلاغة الاستفهام في شعر الرثاء رثائية ابن سناء الملك للدكتور/ وليد السيد فرج.

هذه الدراسة تقوم على دراسة بلاغة الاستفهام في شعر ابن سناء الملك وقدد حدد الباحث لها قصيدة في رثاء أمه، ولم تتناول دراستي الرثاء، بل اعتمدت فيها على مدحه للملك الفاضل.

-فنيات التراكيب في شعر ابن سناء الملك للدكتورة /عزة أبو اليزيد خليفة فالدراسة تبحث في فنية التركيب عموما لشعر ابن سناء الملك ، أما دراستي فتختص بدراسة بناء وتركيب القصيدة التي جعلتها مادة لبحثي وهي قصيدة " مديحك كالمسك " في مدح القاضي الفاضل.

منهج الدراسة:

وأمَّا عن منهج الباحثة فى هذه الدراسة، فهو منهج تحليلي لبيان أسرار التركيب، مميطة اللثام عن خصوصات البناء الذي يعتمد على التذوق أولًا، وعلى البحث عن السر الجمالي ثانيا، فقد أمعنت من خلالها النظرَ في العبارات والتراكيب، وحاولت أن تحلل التّعبير تحليلًا دقيقًا، وقد هدفت من وراء ذلك الربط بين الألفاظ المستخدمة والمعاني التي تعبر عنها تلك الألفاظ.

هذا وقد جاءت الدراسة في عدة مقاطع من خلالها أظهرت بلاغة التراكيب في أبيات القصيدة مسبوقة بمقدمة، وتمهيد متبوعين بخاتمة وثبت لأهم المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

أمّا المقدمة: فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه والمنهج المتبع، وأمَّا التمهيد فقد ذكرت فيه نبذة مختصرة عن التعريف بالشاعر، وبيان مكانة فن المدح في الشعر العربي على مر العصور،فقد تحدثت أولا عن :

المبحث الأول: بلاغة التراكيب في القصيدة ،و قسمته إلى عدة مقاطع وهي:

المقطع الأول: مدح الممدوح أولى وأهم، من البيت الأول إلى البيت السادس.
المقطع الثاني: في النسيب، من البيت السابع إلى البيت السادس عشر.
المقطع الثالث: رد العواذل وشدة هواه، من البيت السابع عشر إلى البيت الخامس والعشرين.
المقطع الرابع: في فضائل القاضي الفاضل، من البيت السادس والعشرين إلى البيت السابع والخمسين.
المقطع الخامس: في فضائل الممدوح عليه، من البيت الثامن والخمسين إلى البيت الثالث والسبعين.
المقطع السادس: رد العواذل والجاحدين، من البيت الرابع والسبعين إلى البيت السابع والسبعين.
المقطع السابع: رجاء وأمل، من البيت الثامن والسبعين إلى البيت الواحد والثمانين.
المقطع الثامن: فخر بالنفس والأهل، من البيت الثاني والثمانين إلى البيت السابع والثمانين.
المقطع التاسع: دعاء وثناء، من البيت الثامن والثمانين إلى البيت التسعين.
المبحث الثاني: الخصائص العامة للقصيدة.
وخاتمة، وفهارس وذلك على النحو التالي:
أما المقدمة: فقد أشارت فيها الباحثة إلى اسم الموضوع، ودوافع اختياره،وأهميته وأهدافه.
وأما التمهيد: فقد تحدثت فيه عن التَّعريف بالشَّاعر (نشأته، حياته)
وأما صلب الموضوع: فقد قامت الباحثة بالتحليل البلاغي للقصيدة، وأبرزت من خلاله بلاغة التراكيب لابن سناء الملك، وما ورد فيه من صور بلاغية، أو أي لون من ألوان البديع فقد تمت الإشارة إليه.
وأما الخاتمة: فقد تحدثت فيها عن أهم نتائج البحث.
وأما عن الفهارس: فقد ذيلت هذا البحث بفهرس للموضوعات وفهرس للمصادر والمراجع .
والله أسأل أنْ يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن أكون قد وفقت فيه.

التمهيد

التَّعريف بالشَّاعر:

هو "القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي، الشَّاعر المشهور، المصري صاحب الديوان المسمى " الشِّعر البديع والنَّظم الرائق" أحد الفضلاء والرؤساء، والنبلاء، وكان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة محظوظًا من الدنيا، أخذ الحديث عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني."[1]

وهو أحد أدباء العصر وشعراؤه المجيدين، ذاع صيته وسار ذكره، اتصل بالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فكانت له منزلة عنده، وكان في خدمته بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، ثم عاد إلى القاهرة، وكان بينه وبين الفاضل تراسل، ومدحه بعدة قصائد.[2]

"عاش ابن سناء الملك في كنف أسرة عرفت بالعلم والأدب والتقوى، وكان جده سناء الملك – وهو الذي نسب إليه–أديبًا بليغًا ذا مكانة في ديوان الإنشاء بالدولة الفاطمية، وكذلك والده جعفر، فقد كان مقربًا من القاضي الفاضل ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي ورئيس ديوان الإنشاء في مصر."[3]

"ولم يكن ابن سناء الملك بارعًا في الجانب النثري فحسب، بل كان شاعرًا مبدعًا، مدح السلطان صلاح الدين، وأولاده العزيز والأفضل، وأخاه الملك العادل، وكذلك

---

١ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطَّبعة: ١٩٠٠م ج٦ ص ٦٢. أعلام النبلاء ج٢١ص ٤٨١،٤٨٠،

٢ معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) تحقيق: إحسان عباس، النَّاشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطَّبعة: الأولى، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى ١٠٨٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، النَّاشر: دار ابن كثير –دمشق – بيروت، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦هـ. ج٧ ص ٦٤.

٣ عصر الدول والإمارات (مصر، الطَّبعة: الثَّانية ١٩٩٠م، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٠٣

أستاذه القاضي الفاضل، الذي أبان عن إعجابه به، في تقاريظ وأجوبة أرسل بها إلى والد ابن سناء الملك وغيره، وقد جمعها ابن سناء في كتاب وسمه بفصوص الفصول وعقود العقول."[١]

وقد التفت القاضي الفاضل إلى موهبة ابن سناء الملك منذ نعومة أظفاره، فاستأذن والده أن يكون كاتبًا بين يديه، ولم يلبث حتى أصبح نائبًا له يستخلفه إذا سافر بصحبة السلطان، وهذه مكانة لا يتسلمها إلا من كان له كفؤا لذلك.[٢]

"وابن سناء الملك أكبر رمز مصري في العصر لاتصال شعراء مصر ونقادها بالأدب الأندلسي، فقد درس موشحات الأندلس ولم يكونوا قد وضعوا عروضها فوضعه لها، وكأنَّه يحل من عروض الموشحات الأندلسية محل الخليل بن أحمد من عروض الشِّعر العربي، وقد شغل ابن سناء الملك النقاد في زمنه وبعد زمنه، لا بما وضعه من عروض الموشحات فحسب، بل أيضًا بشعره، فقد كان أنبه شاعر أنجبته مصر حتى أيامه، فشغل النقاد طويلًا بأشعاره."[٣]

ولعل هذه المنزلة التي حازها ابن سناء الملك عند السلطان صلاح الدين والقاضي الفاضل، ألبت عليه قلوب أعدائه من الحساد على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم، حتى اتهمه أعداؤه بالمغالاة في التشيع."[٤]

آثاره العلمية والأدبية:

ليست من الكثرة بمكان منها " روح الحيوان " لخص فيه ابن سناء الملك كتاب " الحيوان" للجاحظ، وكان معجبًا بمذهب الجاحظ في الكتابة، فأقره على هذا الإعجاب أستاذه القاضي الفاضل ، ومختارات من شعر ابن رشيق القيرواني، جمعها ثم أرسلها إلى أستاذه القاضي الفاضل مع مذكرة نقدية ، القاضي الفاضل ،

---

١ ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٠٠.

٢ عصر الدول والإمارات ص ٢٠٣.

٣ تاريخ الأدب العربي د. شوقي ضيف، النَّاشر: دار المعارف، –مصر، الطَّبعة: الأولى، ١٩٦٠–١٩٩٥م ج٧ ص ١٢٦.

٤ النُّجوم الزّاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، طبعة: دار الكتب المصرية، القاهرة: ط: ٢ عام ٢٠٠٠م ص ٢٧٣، الوافي بالوفيات، طبعة إحياء التُّراث: ج٢٧ص ١٣٧.

ومختارات من شعر ابن الرومي، ويقيم عليها دراسة نقدية مماثلة، " دار النماذج في عمل الموشحات" وهي أعظم وأشهر مؤلفات ابن سناء الملك الأدبية ، وقد قسمه الشَّاعر ثلاثة أقسام : مقدمة مسهبة تحدث فيها المؤلف عن فن الموشحات وقوانينه، والطرق المتبعة في كتابته، ووصف بالتفصيل أشكال الموشحات ، وجاء بأمثلة من الموشحات المغربية."[١]

ولعل طريقة ابن سناء الملك في ابتكار المعاني، والغوص إليها، وهي أيضًا من الأسباب التي جذبت إليه أنظار النقاد في عصره، وجعلته مرمى لسهام نقد بعضهم، ولا سيما طريقته في التَّورية، وهي تتمثل في " أنْ يطيل الوقوف عند الألفاظ المشتركة المعاني، على نية استغلال هذا الاشتراك، فتجيئه التَّورية في نطاق ما شغف به من أساليب التّعبير المعنوية، من حسن تعليل، أومفارقة أو مقابلة"[٢]

المدح

المدح: ضد الهجاء يقال: مدحت الرجل أمدحه مدحًا وامتدحته امتداحًا والمديح: اسم مشتق من المدح والمادح فاعل والممدوح مفعول، وربما سمي المدح بعينه مديحًا وربما سمي الممدوح بعينه مديحا إذا احتاج إليه في الشِّعر كأنَّه فعيل معدول عن مفعول وما أقل ما يستعمل ذلك.[٣]

والمدح: هو الثَّناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا.[٤]

المدح هو فن الثَّناء، والإكبار، والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشِّعري لجوانب من حياتنا التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القواد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا، وأضاف – صادقًا أو كاذبًا–ما لم يذكره التاريخ؛ فساعده على إبراز كثير من الصفات والألوان لم تكن تُعلم لولاه، وزاد في شهرة أناس كثيرين

١ الموسوعة العربية.

٢ ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، عبد العزيز الأهواني، الطَّبعة: الأولى، ١٩٦٢م، الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١٢١.

٣ جمهرة اللغة ج١ ص ٥٠٦.

٤ التَّعريفات ص ٢٠٧.

أحاطهم بالرعاية، ورفعهم إلى الذروة فجعلهم في مصاف الأعلام، وأغفل زملاء لهم كانوا أحق بالذكر وأجدر [1] بالشهرة.

وقال يمدح القاضي الفاضل:[2]

١-مـــديحُك كالمِســـكِ لا يُكَتـــتَم ... بِـــه يُبتَـــدى وبـــه يُختَـــتَم

٢-ومَـــا بَـــرحَ المَـــدحُ بعـــد النَّســـيب ... وذَا مَـــذْهبٌ شَـــاعَ بـــين الأُمَـــمْ

٣-ومَـــدحُك مـــن قبـــلِ خَلـــق النَّســـيب ... ونظـــمِ القَـــريضِ وخَلـــقِ النَسَـــمْ

٤-صِـــفاتُك قائمـــةٌ فـــي النُّفـــوس ... قَـــديمًا وثابتـــةٌ فـــي القِـــدَمِ

٥-علـــى أنَّ لـــي هِمَّـــةً فـــي النَّســـيب ... ولَكِـــنْ مـــدحُك منـــه أهَـــمْ

٦-وإنَّ النَّســـيب إذا مـــا مُـــدحتَ ... يُقـــالُ، ولكنَّـــه لا يَـــتِمْ

٧-وإنَّ النَّســـيب يَسُـــرُّ النُّفـــوس ... ويُـــذكي العقـــولَ ويُصـــفي الشِـــيَمْ

٨-ولا ســـيمَا وهُـــو مَـــن عاشـــقٍ ... رَمَـــاهُ الهَـــوَى وبَـــرَاه السَّـــقم

٩-ومحبوبـــةٍ فـــوق شَـــمس الضّـــحَى ... فـــلا تَحْفِلـــنَ ببـــدرِ الظُّلَـــمْ

---

١ فنون الأدب العربي المديح لسامي الدَّهان، دار المعارف، ط: الخامسة، ص ٥.

٢ أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين؛ وزر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين، رحمه الله تعالى، وتمكن منه غاية التمكن، وبرز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار. وكانت ولادته يوم الاثنين في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيسان فلهذا نسبوا إليها،وكان ولده القاضي الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي الفاضل كبير المنزلة عند الملوك، وكان مثابراً على سماع الحديث وتحصيل الكتب، ومولده في المحرم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بالقاهرة، وتوفي بها في ليلة الاثنين سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة، ودفن بسفح المقطم إلى جانب قبر أبيه، وكان الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب قد سيره من مصر في رسالة إلى بغداد، وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج٣ ص١٦١، ١٦٣. ،"الفاضل من ألقاب أرباب الأقلام، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء، وربما وقع في ألقاب الكتّاب، وهو خلاف النَّاقص، والمراد زائد الفضل، وبه لقّب القاضي الفاضل «عبد الرحيم البيسانيّ» «١» الكاتب المشهور؛ والفاضليّ نسبة إليه للمبالغة. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، النَّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الأعلام للزركلي ج٥ ص ١٨٧.

١٠-تَعلَّقتُـــه نـــاعسَ المُقلَتـــينِ يَـــنِمُّ علـــى أنَّـــه لـــم يَـــنَمْ
١١-وهِمـــتُ بِـــه أسْـــمَرَ المِرشَـــفَينِ عليـــه اللَّمَـــى وعَليـــه اللِّمـــمْ
١٢-فَبَـــرقُ مُقبَّلِـــه لا يَشَـــام ووردةُ وجنَتِـــه لا تُشَـــمْ
١٣-إذا كَسَـــرَ الجفـــنَ مـــن فَتـــرةٍ فللجفـــنِ كسـرٌ وللصَّـب ضَـم
١٤-لِجنسَـــينِ منـــه كمَـــالُ الجمَـــالِ فللعُـــربِ عـــينٌ وللتُّـــرك فَـــم
١٥-وعَـــمَّ الـــوَرَى بـــالهَوَى خَالُـــه ويَـا قَـلَّ مـا يوجـدُ الخـالُ عَـم
١٦-وعِقْـــد مقبَّلـــه كلُّـــه يَتـــيمٌ، ولَكـــنْ نَـــرَاهُ ابتَسَـــمْ
١٧-أَيَـــا عَـــاذِلي فِيـــه لمَّـــا رَآهُ لِـــئنْ كُنـــتَ أعْمَـــى فـــإنَّي أصَـــمْ
١٨-وهَبـــكَ أبـــاذَرٌ هَـــذَا الكـــلامِ فَهَبنِـــي أبَـا جَهـلِ هَـذا الصَّـنَمْ
١٩-وأيْـــن العَـــواذل ممَـــنْ هَويْـــتُ ولَـــو كُـــنَّ ثـــمَّ لأبْصـــرنْ ثَـــمْ
٢٠-أُسِـــرُّ الغـــرامَ ويبـــدُو علـــيَّ ومـا انكَـتَم الشَّـيبُ تَحـتَ الكَـتَمْ
٢١-علـى أننـي مُـذْ عرفـتُ الهَـوَى جهلـتُ النُّهـى واسـتطبتُ الألَـمْ
٢٢-وبِعْـتُ الكَـرَى واشـتَرَيتُ السُّـهادَ فَمَـا ذُقـتُ طَعْـمَ الكَـرَى مُنـذ كَـمْ
٢٣-وأربعـــةٌ قـــطُّ لـــم تُفتـــرِق هَـــوَى، وجَـــوَى وحَيَـــاة وهـــمْ
٢٤-ولا تَعجَـــبَن لحَيـــاةِ الهُمُـــوم حَيَـــاةُ الهُمُـــوم بمَـــوْتِ الهِمَـــمْ
٢٥-وَيَـــومٍ كليلـــةِ صَـــد الحَبيـــبِ يُقـــالُ أضَـــاءَ وقُلـــتُ ادلَهـــمْ
٢٦-أرَى البَـرقَ فـي خـدِّه كالشُّـحوبِ والشَّـمسَ فِـي وجْهـهِ كـالغَمَمْ
٢٧-ومَـــا اســـوَدَّ إلا لأنِّـــي بـــه قَبَـرتُ العُـلَا ودفَنـتُ الكَـرمْ
٢٨-ولَكـــنْ أُعيـــدَ بعبـــد الـــرحيمِ ومـا زال بـالجُود مُحـي الـرّمَمْ
٢٩-ولَـــولَاه كُنـــتُ نَبَـــذتُ الـــدواة ولَـــولَاه كُنـــتُ كَسَـــرتُ القَلَـــمْ
٣٠-ولَـــولَا فَريضَـــةُ مَـــدْحِي لـــه لَقُلـتُ بكـم يُشـتَري لـي بكـمْ
٣١-وعَـزَّ علـى العُـرْبِ أنَّـي حَفِظـتُ بِرَغمِـي بعـضَ لُغَـاتِ العَجَـمْ
٣٢-كَمَـا مَجمَـجَ الـدهرُ بـي نَاطِقًـا كـأنَّي حَـرفٌ بـه مُـدَّغَمْ
٣٣-رَضِـيتُ رَضِـيتُ بـأدنى الحَضـيضِ وخلَّيـتُ أعْلـى القِمَـمْ
٣٤-فَمَـا أنَـا مِـنْ أهـلْ ذاكَ المقـامِ ولا أنَـا مِـنِ رَقْـمِ ذَاكَ القَلَـمْ

٣٥-ومـــا ضـــيَّع الله آلَ الحسَـــيْن إذا رَفَـــع الـــدَّهرُ آلَ الحَكَـــمْ
٣٦-ومـا يُعـدُ الـدهرُ لـي مَطلبًـا وعبـدُ الـرحيم فِـدَاهُ أُمَـمْ
٣٧-بـه سـوف أدخـلُ دارَ السـلامِ ويُلقـي الزمـانُ إلـى السَّـلمْ
٣٨-يَقـولُ لِـدهرِي أَسـكُن حِـرَا فَقَـالَ لـي الـدهرُ أُسـكُن حَـرَمْ
٣٩-لقـد شـملَ الخلـقَ إنعامُـه فهـم فـي النعيمِ وهـم فـي الـنِّعمْ
٤٠-يسـابقُ سُـؤَّالهُ بالعَطَـا فَـلا لا يُقـالُ كَمَـا لا نَعَـمْ
٤١-فمَـنْ ذَا الـذي بِعَطَايـاهُ مـا ومَـنْ ذا الـذي بأياديـهِ لَـمْ
٤٢-وإنَّ الملـوكَ بـه كالعَبيـدِ وإنَّ الأُسُـودَ بـه كـالغَنَمْ
٤٣-تَجِـئ الملـوكُ إلـى بابِـه إذَا اختصِـموا ليَكـونَ الحَكَـمْ
٤٤-فيفصـلُ مُشـكِلَهم بالبَيـانِ ويَحكُـم بيـنهُم بـالحِكَمْ
٤٥-يَـرَونَ مَودَّتـه قُربَـةٌ وطَاعتَـه فُرصَـةٌ تُغتَـنَمْ
٤٦-ولَا غَـروَ أنَّـك مـولَى الأنـام وأثبـتَهم فـي المَعَـالي قَـدَمْ
٤٧-وأنَّـك أوْفَـاهُم بـالعِهُودِ وأنَّـك أرْعَـاهُم للـذِّمَمْ
٤٨-فخـارٌ أجـلُّ وطَـولٌ أطـل وبَـأسٌ أشـدُّ وعـزمٌ أشَـمْ
٤٩-ودولتُـه رُكْنُهـا قَـائمٌ بِـرَغْمِ العَـدوِّ الأعَـمْ
٥٠-يُعَاديـكَ كُـلُّ لئـيمِ الأصُـولِ مُبَـاحِ الحَـرِيم مُشـاع الحُـرَمْ
٥١-لَـه خَلـوةٌ كلُّهـا تَنقَضِـي برتـقِ الفُتُـوق وسـدِّ الـثُّلمْ
٥٢-ويَحْلـفُ أنَّـي الحَبيـبُ النَّصـيحُ ويَكـذبُ – بـل حَاسـدٌ مـتَّهمْ
٥٣-يـنمُّ إليـك وطَـوْرًا عَليْـكَ فـتمَّ لـه أمـرُه حِـين نَـمْ
٥٤-يُـرى فـي الخَـلا حَـامِلًا طَاعِنًـا ولكِـنْ إذا مَـا رَآكَ انهَـزَمْ
٥٥-وباسـمِكَ قـد حَـلَّ فـوق السَّـمَا ولَـولاكَ لَـم يَسْـمُ، بَـلْ لَـمْ يُسَـمْ
٥٦-ويَكفُـر أنعمَـك السَّـابِغَاتِ فسَـوفَ تعُـودُ عَليـه نِقَـمْ
٥٧-ويَمْضـغُه الـدَّهرُ مَضْـغَ الأديـم ويَعْرُكُـهُ الـنحسُ عَـرْكَ الأدَمْ
٥٨-وأعـدِلُ عـن ذا إلـى شُـكرِ مـن أُقصِّـر عنـه لفـرطِ العِظَـمْ
٥٩-رَددتَ أبـى بعـد أن كـان سَـارَ وكـادت مطيتُـه أن تُـزَمْ

٦٠-رددت إرادتَـــــــــــــــه إذ أرادَ وثَبَّطـــــتَ عزمَتَـــــه إذْ عَـــــزمْ
٦١-نَهَيـــــتَ عزيمَتـــــه فـــــانتهى رســـــمتَ إقامَتـــــه فارتَسَـــــمْ
٦٢-ووالله مَـــا بِـــك مِـــنْ حاجـــةٍ إلـــى أحـــدٍ مِـــن جَمِيـــعِ الأُمَـــمْ
٦٣-ولكـــــنْ رَقَقْـــــتَ لـــــه رحمـــــةٌ فلـــو سَـــارَ لانحـــط أو لانْحَطَـــمْ
٦٤-وخِفْـــتَ علـــى عِقْـــدنا الانتشـــار لأنَّ ببقيـــــاه كـــــان انـــــتَظَمْ
٦٥-ولـــو كَـــانَ فَـــارقَ طَوعًـــا نَـــداكَ لأعقَبَـــه فـــي الطريـــق النـــدمْ
٦٦-نَقعـــتَ بـــه غُلَّتـــي والصَّـــدَى جَمعـــتَ بـــه كَبـــدِي والشَّـــبَمْ
٦٧-جَمعـــتَ بـــه شَـــمْلَنا، بـــل جَمَعـــتَ سُـــقْيَا الغمـــامِ وكَشـــفَ الغُمَـــمْ
٦٨-وإنِّـــي لأَشْـــكرُ هـــذا الصـــنيعَ كشُـــكر الريَـــاضِ لصُـــنْعِ الِّـــديمْ
٦٩-وفـــي الـــنَّفس وَاحِـــدةٌ أحْرقـــتْ فُـــؤادِي فأَصْـــبَحَ فيهـــا حَمَـــمْ
٧٠-تقُـــولُ أعـــاديَّ لـــولا أبـــوكَ لمَّـــا كُنـــتَ تـــدخلُ ذاكَ الحَـــرَمْ
٧١-وكنْـــتَ القَصِّـــيَّ وكنـــتَ البعيـــد وكنـــتَ مـــن العـــالَم المُهتَضـــمْ
٧٢-وإنَّ الأجـــلَّ يـــراك الأقَـــلَّ ولـــو كُنـــتَ مِمَّـــن رَقَـــى أَو رَقَـــمْ
٧٣-ومَـــا زَالَ فِعلـــكُ منـــه يُـــذَامُ ومَـــا زَالَ قَصْـــدُك منـــه يُـــذَمْ
٧٤-ومَـا أنـتَ مِـن جِـنسِ مَـن يُصْـطَفَي ولا أنـتَ مِـنْ نَـوعِ مـا يُحْتـرمْ
٧٥-ولـــيسَ لـــذاتِك ذَاكَ القَبُـــولُ ولَـــيسَ لنَفْسِـــك ذَاكَ القَـــدَمْ
٧٦-ولكـــنْ أبُـــوكَ لـــه خِدْمَـــةٌ دَخلـتَ بهـا فـي غِمَـارِ الخَـدَمْ
٧٧-وأحســـبُ أنَّهُـــم يكـــذبون وهَـلْ يَصـدقُ الحاسـدُ المـتَّهمْ؟
٧٨-وحَاشَـــا لمَجـــدكِ مـــن أنْ أُضَـــام بـــأني إلـــى غيـــر ذاتـــي أُضـــمْ
٧٩-وقـــد كَـــذَبُوا أنـــتَ لـــي واصِـــفٌ بحُسْـــن الفِعَـــال وحُسْـــن الفَهـــمْ
٨٠-وكُتبُـــك تَشْـــهد أنَّـــي الحَبيـــبُ وأنَّـــي الأخـــصُّ وأنَّـــي الأَعـــمْ
٨١-أبـــى بـــي سَـــارَ اســـمُه فـــي الـــبلاد وجَـــابَ الوِهـــادَ بهـــا والأَكَـــمْ
٨٢-وأحْيَيـــتُ أسْـــلافِي الأَقـــدمين فقـــاموا وهـــم يَنفُضُـــون اللِّمَـــمْ
٨٣-وهـــم وأنـــا بِـــكَ حُزْنَـــا الفَخَـــار وَصَـــارَتْ لنـــا فـــي البَرَايـــا قِـــيَمْ
٨٤-بقيـــتَ ويَبْلـــى الزَّمـــانُ الجَديـــدُ وَتبَّـــا لمَـــذْهبِ أَهْـــلِ القِـــدَمْ

٨٥-فَـــلَا بُـــدَّ أنْ تَمُـــورَ السَّـــماءُ ... ويَـــذْوِي بهـــا كُـــلُّ نَجْـــم نَجَـــمْ

٨٦-ويَظْهـــرُ فـــي الفَرقَـــدَيْنِ العَمَـــى ... كَمَـــا بَـــانَ فـــي الهَـــرَمينِ الهَـــرَمْ

٨٧-ولـــيسَ السَّـــماءُ كَمَـــا قَـــدْ رَأيْـــت ... بالشُّـــــهبِ إلَّا أديـــــمَ حَلَـــــمْ

٨٨-ونجْمُـــك فـــي كُـــلِّ ذَا لَا هَـــوَى ... وزَكنُـــك فـــي كُـــل ذا لا انهـــدمْ

٨٩-تَـــدومُ ويقســـم فينـــا نـــداكَ ... فأمـــا عُـــلاكَ فمَـــا يُقتَسَـــمْ

٩٠-وأربعـــةٌ فـــي ممـــا وهَبـــت ... نَفْـــــسٌ وروحٌ ولحـــــمٌ ودَمْ

المبحث الأول

بلاغة التراكيب في القصيدة وقد اشتمل على عدة مقاطع منها:

المقطع الأول:

مدح الممدوح أولى وأهم.

١-مـــديحُك كالمِســـكِ لا يُكتَـــتَم بِـــه يُبتَـــدى وبـــه يُختَـــتَم

٢-ومَـــا بَـــرحَ المَـــدحُ بعـــد النَّســـيب وذَا مَـــذْهبٌ شَـــاعَ بـــين الأُمَـــمْ

٣-ومَـــدحُك مـــن قبـــلِ خَلـــق النَّســـيب ونظـــمِ القَـــريضِ وخَلـــقِ النَسَـــمْ

٤-صِـــفاتُك قائمـــةٌ فـــي النُّفـــوس قَـــديمًا وثابتـــةٌ فـــي القِـــدَمِ

٥-علـــى أنَّ لـــي هِمَّـــةً فـــي النَّســـيب ولَكِـــنْ مـــدحُك منـــه أهَـــمْ

٦-وإنَّ النَّســـيب إذا مـــا مُـــدحتَ يُقـــالُ، ولكنَّـــه لا يَـــتِمْ

في البيت الأول يقول الشَّاعر: بأنَّ ثناءك الفياض أيُّها القاضي الفاضل مثل الطيب الفواح الذي ينبعث ويشمه الجميع دون استثناء، ولا تخفى رائحته الطيبة عن أي إنسان، وأقدم لك الثَّناء الجميل في بدايتي ونهايتي لعظيم صنيعك قائلًا:

مَدِيحُك كالمِسكِ لا يُكتتَم بِه يُبتَدَى وبِه يُختَتَم.

وأول ما يلفت الانتباه براعة الاستهلال التي استهل الشَّاعر بها قصيدته التي جذبت آذان المتلقي وأيقظت انتباهه، وفي ذلك يقول السّيوطي: " أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشد إلى ما سبق الكلام لأجله، وأول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب." [١]

صدَّر الشَّاعر قصيدته بالأسلوب الخبري في قوله: " مديحك كالمسك"؛ لأنَّه أراد أنْ يقرر ويثبت معنى معينًا وهو أنَّ مديح القاضي الفاضل له رائحته التي تفوح بالمسك الذي هو أجمل العطر وأطيبه. وأضاف النَّاظم كلمة " مديح " إلى " كاف " الخطاب في قوله: "مديحك" للتَّعظيم من شأن المدح، وقد حققت الإضافة الإيجاز بأنَّ هذا المديح يختص بالممدوح دون سواه، فالمدح الذي يتحدث عنه الشَّاعر خاص به لا يتعداه إلى غيره.

---

١ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السّيوطي، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطَّبعة : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ج٣ ص٣٦٣.

وقد أكد الشَّاعر كلامه بالجمل الاسمية (مديحك كالمسك)؛ لتقوية الفكرة؛ ولتنبيه المخاطب وإثارة الفكر " إنَّ الافتتاح بالاسم أقوى وأشد تأثيرًا في النَّفس ولا سيما إذا جاء على صيغة المبتدأ؛ لأنَّ المبتدأ يلازم حالة التَّعريف مختصًا بالدلالة على الأشياء المجردة عن الزمن؛ لذا كان الافتتاح به يكسب القصيدة قوة من جهة الدلالة المباشرة على المعنى"[١]

وعبر بـ ." المدح" دون " الحمد والثَّناء" وغيرهما؛ وذلك لأنَّ المدح " يكون بالفعل والصِّفة وذلك مثل أنْ يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه وإلى غيره، وأنْ يمدحه بحسن وجهه، وطول قامته، ويمدحه بصفات التَّعظيم من نحو قادر وعالم وحكيم، ولا يجوز أن يحمده على ذلك، وإنَّما يحمده على إحسان يقع منه فقط" [٢]

وقد كان للتَّشبيه الأثر الواضح في تقريب الصُّـــورة إلى الأذهان وإخراجها من خفي إلى جلي في قول الشَّاعر:" مديحك كالمسك "، حيث شبه الشَّاعر مدح الممدوح والثَّناء عليه بالمسك والطيب الفواح الذي ينبعث، ويشمه الجميع مما أفاد أنَّ هذا المدح لا يخفى على أحد.

وهذا التَّصوير يُشْعِر بذيوع وانتشار هذه الرائحة الفوَّاحة التي بدت من مدحه، وأنَّ الممدوح من الشهرة بمكان.

ومزية التّشبيه هنا أنَّ الشَّاعر قد استمده من عناصر الطبيعة ومن الخيال الذي يؤثر في نفوس المتلقين، فألفاظ البيت وتعبيراته جعلت التّشبيه " يجري في تدفق وانسياب كماء البحر في تدفقه وانسيابه، أو أنَّ جريه لا ينفذ كما لا ينفد ماء البحر" [٣]

وأكد هذا المعنى التّعبير بقوله: "لا يُكتتم" فقد أكد المعنى السابق الذي أفاده التّشبيه من أن مدح الممدوح من الشهرة والذّيوع بحيث لا يخفى على أحد مما يشعر بأنَّ

---

١ أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية للدكتور / أحمد علي أحمد ص ٦٥.

٢ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، النَّاشر: دار العلم والثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة – مصر. ص ٥٠، ٥١.

٣ البلاغة وقضايا المشترك اللفظي د. عبد الواحد حسن الشّيخ، من مؤسسة شباب الجامعة للنَّشر والتَّوزيع ١٩٨٦، ص٥.

الممدوح يستحق المدح؛ نظرًا لما هو عليه من الصفات والشمائل التي تجعل الشَّاعر لا يستطيع كتمان هذا المدح، بل البوح به في كل مكان.

وفي قوله: "لا يُكتتم " دلالة على أنَّ مدح الممدوح مما لايمكن أنْ يكف عنه، وليس بإمكان الشَّاعر واستطاعته أنْ يمتنع عن مدحه؛ وذلك لأنَّ " الكتمان هو السُّكوت عن المعنى"[1]

ويأتي القصر في قوله: " به يُبتدى "، حيث قصر الابتداء بالمدح على الشَّاعر قصرًا ادعائيًا طريقه التَّقديم، وهذا التَّقديم يشعر بالاختصاص، وأنَّ الابتداء بالمدح خاصٌ بالممدوح دون سواه.

ويتعاون القصر الثاني في قوله: " وبه يُختتم "، حيث قصر الاختتام بالمدح على الممدوح دون سواه، وهذا القصر أيضًا، طريقه التَّقديم، وكذلك أفاد الاختصاص."والتّخصيص قصر المتكلم إفادة السَّامع خصوص شيء من غير تعرض لغيره بإثبات ولانفي؛ بسبب اعتناء المتكلم بذلك الشَّيء وتقديمه له في كلامه، فإذا قلت: زيدًا ضربت، كان المقصود الأهم إفادة خصوص وقوع الضّرب على زيد؛ لا إفادة حصول الضّرب منك، ولا تعرض في الكلام لغير زيد بإثبات ولا نفي."[2]

والتّعبير بالجملة الاسمية والقصر بالتَّقديم أدى إلى تأكيد المعنى، وتقريره، وكأنَّ هذا القصر هو الدّليل على ما قال.

والتّعبير بالأفعال المضارعة " يُكتتم، ويُبتدى، ويُختتم " للتجدد والاستمرار، فصورة المدح تتجدد منه، فالشَّاعر يتجدد منه المدح لا ينقطع.

وبين " الابتداء" و" الختم" طباق، أوضح المعنى وأكده، وقد أفادت هذه الكلمات المعبر عنها بالتضاد التَّعدد في الصفات التي تدعو المتلقي إلى التَّأمل، والتَّفكير، وكيف بالشَّاعر، وقد جمع بين الشَّيء وضده في آنٍ واحدٍ دون إعطاء فرصة لما

---

١ الفروق ص ٣٥٧.

٢ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: د. محمد أبو موسى، القاهرة، ط: الثَّانية، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م ص ٣٨٩.

سُيلقى بعد من الأفكار والتغاير بينها، فضلًا عن عنصر المفاجأة والمباغتة التي يكنها الطِّباق بداخله.

وقد راعى الشاعر الوصل بين الجملتين، لإثارة عقول المخاطبين، فضلًا عن جمال التَّركيب والصِّياغة بين قوله: " به يُختتم " وقوله:" به يُبتدى" والوصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين للتناسب الملحوظ بينهما وهو المتمثل في الجمع بين الضدين، ويؤكد مما يؤكد الفكرة التي أرادها الشَّاعر وأراد تثبيتها في الذهن.

ولمزيد من الجرس والتنغيم أتى الشَّاعر بالتَّصريع على عادة الشُّعراء الفحول في بداية قصائدهم، فالتمس التَّصريع في بداية القصيدة، مما يدل على قدرة الشَّاعر، ومقدرته الفائقة على التنوع في الأساليب، وتمكنه من المفرادات الموسيقية.

هذا، وقد عبر الشَّاعر بالجمل الخبرية في البيت لترسيخ وتقوية مدح الممدوح وأهميته بالنسبة للشَّاعر، فقد كانت بغية الشَّاعر أن يبدأ قصيدته بالمديح مباشرة دون أن يقدم للقصيدة بمقدمة غزلية، أو الوقوف على الأطلال، أوغيره من أغراض الشِّعر، ولكن دأب الشُّعراء وديدنهم قد جبلوا على الإتيان بهذه المقدمات، وقد فعل شاعرنا ذلك.

وقد راعى شاعرنا في افتتاح الكلام القواعد البلاغية فجاء الكلام مطابقًا لمقتضى الحال " وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب"[1]

ويسترسل الشَّاعر كلامه بأنَّه قد استمر في الثَّناء بعد الغزل الرقيق في النِّساء بطيب الكلام، وهذا نهج قد انتهجه الشُّعراء آنذاك، وقد انتشر وذاع صيته بين الناس قائلًا:

٢-ومَا بَرَحَ المدحُ بعد النَّسيب وذَا مَذْهَبُ شَاعَ بَينَ الأُمَم.

وليؤكد الشَّاعر على أنَّ دأب الشُّعراء، هو استهلال قصائدهم بالنَّسيب والغزل الرقيق، ولكن الشَّاعر لم يسر على هذه الخطى عبر بصيغة من صيغ الاستمرار بقوله:" وما برح"، فديدن الشُّعراء ودأبهم يأتون بالمقدمة الغزلية أولًا ثم يعبرون عن

١ الصِّناعتين لأبي هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، النَّاشر: المكتبة العصرية – بيروت، عام النَّشر: ١٤١٩هـ، ص ٤٣٧.

الغرض المقصود بعد ذلك، وكأنَّي بالشَّاعر يومئ من طرف خفي بأنَّه لولا ما سار عليه الشُّعراء بأنَّهم يبدؤون قصائدهم بالنَّسيب في مقدمات قصائدهم لكان مدح الممدوح له قصب السبق في ذلك.

والتَّعريف بـ " أل " في المدح " و" النَّسيب " للعهد أي غرض المدح، وغرض النَّسيب المعروفين في الشِّعر، وقد جاءت معظم كلمات البيت معرفة، مما يشير إلى أنَّ هذه الأشياء من شهرتها أعرف من أنْ تنكر.

وقوله: "ذا" إشارة إلى الكلام السابق، وفي التّعبير باسم الإشارة ما يفيد " الإيجاز، وتفادي التِّكرار، فاسم الإشارة هنا طوى عددًا كبيرًا من مقدمات الشُّعراء الغزلية، فبدلًا من أن يُقال مقدمة فلان وفلان ... إلى آخره عبر باسم الإشارة عن تلك المقدمات، وهيأ الكلام لما سيأتي بعده، وما يشمله من أشياء"[1]، وفيه كذلك تعظيم لشأن المشار إليه.

وتنكير كلمة " مذهب " يوحي بتعظيم ذلك المذهب الذي يسير عليه الشُّعراء، وهذا يشير من طرف خفي إلى أنَّ الشُّعراء لديهم المقدرة على التَّخلص من غرض إلى غرض دون أن يشعر القارئ أو السَّامع بهذا الانتقال.

والتّعبير بصيغة الماضي في قوله: " شاع " يوحي بتحقق هذا الفعل ووقوعه، ويوحي كذلك بالشّيوع والذّيوع والانتشار بين الشُّعراء، وأنَّ هذه هي عاداتهم.

وكلمة " أمم " تشعر بأنَّ هذا الأمر لم يختص بأمة دون أمة، ولكن بين الأمم جميعًا.

وعاون على هذا المعنى تعريف" الأمم" بـ " أل الجنسية " التي تفيد العموم والشُّمول وكذلك جمعها الذي يفيد التَّعدد والكثرة.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن الممدوح فيقول: بأنَّ ثناءك الجميل قد أوجدته قبل أنْ أتغزل في النِّساء بكلامي الحاني الدافئ، وأيضًا قبل كتابة الشِّعر ووجود الخلق قائلًا:

٣-ومَدحُك من قَبل خَلقِ النَّسيب ونَظمِ القَريضِ وخَلقِ النسَم.

---

١ معاني التراكيب د. عبد الفتاح لاشين بتصرف، دار الطِّباعة المحمدية ١٩٨٢، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٢م، ص ١٦٧.

وليؤكد على أنَّ مدح الممدوح هو الغاية من إنشاء القصيدة، عبَّر بالجمل الاسمية التي تفيد رسوخ الفعل وتأكيده، فأكد أنَّ مدحه والثَّناء عليه كان قبل الغزل، وقبل نظم الشِّعر، ووجود الخلق" في قوله: "ومدحك من قبل خلق النَّسيب ونظم القريض وخلق النسم"

وإضافة مدح" إلى "كاف الخطاب" في قوله: " ومدحك" توحي بتعظيم ذلك الممدوح، وأهميته بالنسبة للشَّاعر، وقد بلغ بذلك مبلغًا لا يستطيع أحد وصفه، فكانت له صفتي الأفضلية والسبق.

والإضافة في قوله: خلق النَّسيب" تشعر بالتقليل من شأن النَّسيب الذي لا يعد شيئًا بالنسبة لمدح الممدوح.

وأرى أنَّ التّعبير بـ "خلق النَّسيب " فيه شيء من الإجحاف، وذلك لأنَّ الخلق معناه الإحداث بعد أن لم يكن، وهذا من صفات الحق سبحانه، ولو قال قبل إنشاد أو إنشاء النَّسيب لكان أفضل.

وإضافة " نظم " إلى القريض " تشعر بأهمية هذا النَّظم لأنَّه يختص بالشِّعر وعلى الرغم من ذلك فليس شيئًا بالنسبة للممدوح.

ولم يكتف الشَّاعر بأنَّ مدحه كان قبل قول النَّسيب، ونظم الشِّعر، وإنَّما كان قبل وجود الخلق وأرى أنَّ الشَّاعر قد أخفق، ولم يحالفه التوفيق في التّعبير بخلق النَّسيب، وكأنَّه عد النَّسيب الذي من صنع البشر خلقًا من خلق الله.

وفي ذلك من المبالغة والغلو[1] المردود ما فيه، حيث أثبت الشَّاعر للممدوح أنَّ مدحه يعد صفة أزلية منذ القدم، وهذا لا يليق في حق الممدوح، وإنَّما هذه صفات أزلية والحق سبحانه هو المتصف بصفة القدم.

وأيضًا الغلو في قوله:" نظم القريض "، حيث أثبت أنَّ مدح القاضي الفاضل موجود قبل نظم الشِّعر، وهذه مبالغة مردودة لا يقبلها العقل ولا العادة.

---

١ الغلو: ما كان الوصف المدعى فيه غير ممكن لا عادة ولا عقلا. علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ص٢٨٤.

وكذلك في قوله:" وخلق النّسم"، حيث أثبت للممدوح أنَّ مدحَه موجود قبل خلق الخلق مما أثبت للممدوح صفة الأزلية والقدم وهذا لا يجوز شرعًا، ولا عقلًا، ومن هنا نقول بأنَّ الشَّاعر قد بلغ في الوصف مبلغًا مستحيلًا ومستبعدًا.

هذا وقد عرف الشَّاعر للإضافة أهميتها، مما يؤكد أهمية هذا الفن في التّعبير عمَّا أثاره في البيت من أنَّ مدح القاضي الفاضل له صفة القدم فهي بداخله من قبل النَّسيب ونظم القريض وخلق النسم.

ونلحظ التفويف[1] في البيت، حيث عطف بين الجمل الثلاث لما بينهما من التَّناسب والمساواة في المقادير، حيث عطف قوله: " نظم القريض" وخلق النسم" على " خلق النَّسيب" وهذه الجمل متناسبة المقادير، معطوف بعضها على بعض بحرف العطف " الواو" مما جعل المناسبة بين الجمل قوية وقد استدعت الوصل" فالتَّناسب بين المعطوف والمعطوف عليه من الأمور الضرورية؛ وذلك لتمام الملاءمة بينهما؛ فيكونان نظيرين أو شريكين أو غير ذلك من أنواع المناسبة التي تجمع بينهما" [2]

ويسترسل الشَّاعر في حديثه بأنَّ شمائل الممدوح الطيبة تظل ثابتةً راسخةً داخل أعماق نفوسنا منذ القدم لا تتبدل ولا تتغير قائلًا:

٤ –صِفَاتُك قَائمَةٌ في النُّفوس قَدِيمًا وثابتةٌ في القِدَم.

وليؤكد على علو مكانة الممدوح وعظمته، وأنَّ شمائله وفضائلة ثابتة لا تتغير، عبَّر بالجملة الاسمية صفاتك قائمة "، فالتّعبير بالمسند إليه "صفات"، وإضافتها إلى "كاف الخطاب" في قوله: "صفاتك" يشعر بعظم شمائل الممدوح وعلو مكانته. وعاون على هذا المعنى تنكير المسند " قائمة " والتّعبير بصيغة اسم الفاعل يشعر برسوخ وثبات شمائل وصفات الممدوح في النُّفوس.

---

١ التفويف: أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها. الإيضاح الجزء الثالث ص ٣٦٢،

٢ من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن أ.د عبد الفتاح لاشين، النَّاشر: دار عكاظ للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص ٧٧.

وتعريف " النُّفوس" بـ " أل الجنسية" يشعر بفضل الممدوح على الشَّاعر وعلى الناس جميعًا، وعاون على هذا المعنى جمع الكلمة جمع كثرة.

وتنكير كلمة " قديمًا " تشعر برسوخ هذه الصِّفة فيه، وأنَّها ليست وليدة يوم، بل عرف بها منذ القدم. وقوله: " ثابتة " خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هي ثابتة، وقد دل على الحذف الكلام السابق، وهذا الحذف حقق الإيجاز.

وقوله: " ثابتة " خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هي ثابتة، وقد دل على الحذف الكلام السابق، وهذا الحذف حقق الإيجاز.

ووصل بين جملة " ثابتة في القدم " والمقدر فيها المبتدأ وبين جملة "صفاتك قائمة"، للتناسب بين الجملتين، فالجمل الموصولة تنبئ عن كلامٍ واحدٍ، وغرضٍ واحدٍ، واختلاف الألفاظ يؤدي إلى التغاير في المعنى، فالهدف من الوصل الإيجاز، والانسجام بين الجمل، وفي ذلك يقول الدكتور محمد أبو موسى:" ترى المقطع من مقاطع المعنى عند نهايته حيث يلامس المقطع الذي يليه قد أخذ سبيلًا يدنو به منه، حتى يكون لقاؤهما لقاء مؤنسًا جدًا؛ فلا تشعر بمفاجأة في الانتقال، وإنَّما ترى كلامًا يسلم بعضه إلى بعض"[1]

وقوله:" ثابتة" خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هي ثابتة، وقد دل على الحذف الكلام السابق، وقد حقق هذا الحذف الإيجاز، يقول ابن الأثير في ذلك:" الإيجاز بالحذف، وهو ما يخف منه المفرد، والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه، وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة، من سبق إلى غايتها، وضرب من أعلى درجاتها بالقدح المعلى؛ وذلك لعلو مكانه، وتعذر إمكانه."[2]

وتكرار حرف القاف في البيت أدى إلى جرس موسيقي هزت له الأذن، وأكسب المعنى قوة وجمالًا " فتكرار الحرف إمَّا أنْ يكون لإدخال تنوع صوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف؛ ليحدث فيه إيقاعًا خاصًا يؤكده، وإما أنْ يكونَ لشد

---

١ دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ص ٣٤٢ الطَّبعة: الثَّانية، النَّاشر: مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

٢ المثل السَّائر، لابن الأثير، ج٢ ص ٧٧.

الانتباه إلى كلمة أو كلمات بعينها وإمَّا يكون لأمر اقتضاه القصد فتساوت الحروف المتكررة في نطقها له مع الدلالة في التّعبير عنه. [1]

ويخبرنا الشَّاعر في البيت الخامس: بأنَّه على الرغم من أنَّ لديه عزيمة قوية، وإرادة صادقة، ودافع عظيم في التَّغزل في النِّساء عن طريق الشِّعر الرقيق إلا أنَّني قدمت ثناءك المجيد على هذا التَّغزل النسائي المحبب إلى قلبي قائلًا:

٥-على أنَّ لي همَّة في النَّسيب ولَكنْ مَدحُك منه أهَمْ.

عبر بـ " أنَّ والجملة الاسمية" في قوله: " على أنَّ لي همة في النَّسيب " مما يوحي بأنَّ التَّغزل في النِّساء له الأثر القوي في نفس الشَّاعر، وذلك عن طريق الغزل الرقيق، وعلى الرغم من أهميته في قلبه إلا أنَّ مدحه للقاضي الفاضل أهم من الغزل عنده.

وتقديم الجار والمجرور في قوله: " لي" على "همة " للقصر مما يشعر بالاختصاص، وأنَّ هذه الهمة خاصة به وحده دون سواه، والقصر يوحي كذلك بأنَّ همة الشَّاعر عالية رفيعة، وأنه ذو عزيمة قوية.

ويؤكد هذا المعنى تنكير " همة " إذ يشعر بتعظيم تلك الهمة، فهي همة لمدح الشَّاعر، ولكن يريد أنْ يجري على ما جرى عليه الشُّعراء من بدء المقدمات بالنَّسيب كالعادة التي عليها الشُّعراء.

وقوله:" في النَّسيب " يشعر بأنَّ الشَّاعر لديه المقدرة الفائقة على استهلال قصيدته بالنَّسيب، ولكنَّ مدح القاضي الفاضل أولى وأهم لديه ممن يأتي على منوال الشُّعراء في بدء قصائدهم ومع ذلك فهو لا يتمه.

وليشعر الشَّاعر بأنَّ بغيته هي مدح الممدوح، وأنَّه يقدم المدح على غيره كالنَّسيب، وأن هذا الرأي راسخ لديه لا يتغير عبَّر بالجملة الاسمية في قوله: " ولكن مدحك منه أهم"

وقد أراد الشَّاعر أنْ يثبت أنَّ مدحه للقاضي الفاضل أهم عنده من النَّسيب عبر بقوله: " ولكن مدحك منه أهم" فمدح الممدوح أهم من النَّسيب والتَّغزل في النِّساء.

---

١ الأسلوبية وتحليل الخطاب، لمنذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط١ ٢٠٠٢، سوريا، ص ٧٨.

ونلحظ أنَّ النَّاظم عبَّر من خلال أبياته السابقة بالأساليب الخبرية؛ وذلك لرسوخ وأهمية وثبات هذه الأشياء التي أراد التحدث عنها.

والتّعبير بصيغة التفضيل " أهم " يشعر بعظم مدح الممدوح، وأنَّ هذا المدح له الأفضلية عن النَّسيب.

ويقول الشاعر في البيت السادس: إنَّ التَّغزل في النِّساء يأتي بعد ثنائك أيها القاضي الفاضل، ولكنَّه لا يكتمل نتيجة انشغال عقلي وقلبي بمديحك المحبب لي قائلًا:

٦-وإنَّ النَّسيب إذا ما مُدحت يُقَالُ، ولكنَّه لا يَتِم.

ويلاحظ أنَّ الشَّاعر في البيت أكد على أنَّ النَّسيب قد يأتي بعد المدح، ولكنَّ حبَّ الشَّاعر للممدوح أغناه عن ذلك معبرًا بإنَّ واسمية الجملة بقوله:" وإن النَّسيب إذا ما مُدحت يُقال"

وقد كرر الشَّاعر كلمة " النَّسيب " لاستمالة المخاطبين، وتكشف عما يدور بصدره من أفكار أراد أن يوصلها للمتلقي، وفي التِّكرار من المبالغة في تأكيد المعنى وتوضيحهما مالا يخفى، التّعبير بـ "إذا" الشَّرطية لبيان زمان محدد له أهميته، وتوحي كذلك بتحقق ما بعدها.

وآثر النَّاظم التّعبير بـ " إذا " دون " إنْ" وذلك لأنَّ " إذا " تفيد تحقق حدوث الشَّيء" فلما كانت " إذا" تُستعمل في المعاني المحققة غلب لفظ الماضي فيها، لكونه أدل على الوقوع."[1]

والتّعبير بالفعلين المبنيين للمجهول في قوله:" مُدحت" و" يُقال" للدَّلالة على أنَّ هذا النَّسيب لايتم إلا إذا مدح القاضي الفاضل بجميل الصفات وحسن الفعال.

وجواب الشَّرط في قوله:" يُقال " أتى متلاحمًا مع فعل الشَّرط؛ ليوضح أنَّ النَّسيب يأتي بعد مدح الممدوح، وبلاغة أسلوب الشَّرط في الترابط والتلازم في تركيب الجمل، وربط بعضها ببعض.

ثم استدرك بـ " لكن" عن أنَّ التَّغزل في النِّساء لا يكتمل؛ وذلك لأنَّ القلبَ والعقلَ قد انشغلا بحب الممدوح في قوله: " ولكنه لا يتم " وقد رفع هذا الاستدراك توهم

١ من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن د. عبد الفتاح لاشين ص ١٦٩.

الخطأ في الفهم، ومن خلال هذا الأسلوب يقرر الشَّاعر بأنَّ النَّسيب لا يتم بسبب تعلق قلبه وعقله بمدح القاضي الفاضل، وأن النَّسيب لا يمكن أن يتم إلا إذا مدح الممدوح.

والتّعبير بالنفي ثم الاستدراك أو الإثبات لما فيه من الإثارة والتشويق إلى ما يأتي بعد الاستدراك حتى إذا ورد بعد تطلع النُّفوس إليه ثبت وتمكن؛ لأن المعنى إذا ألقي على سبيل النفي، تشوقت نفس السَّامع إلى معرفة ما يريد الشَّاعر إثباته فتتوجه إلى ما يريد بعد ذلك . فإذا ألقي تمكن فيها فضل تمكن، وهذا مما يزيد المعنى قوة وتأكيدًا.

فالشَّاعر قد وفق في الاهتداء إلى بعض الألفاظ التي تشع كثيرًا من الإيحاءات وتُنبئ عن العديد من المعاني، ويكشف عن أهمية الاختيار الدقيق الذي يقتضيه النَّظم مما يبرز التآلف والترابط الناتج عن نظم البيت.

المقطع الثاني: في النسيب.

٧-وإنَّ النَّسيب يَسُرُّ النُّفوس ... ويُذكي العقولَ ويُصفي الشِيَمْ
٨-ولا سيمَا وهُو مَن عاشقٍ ... رَمَاهُ الهَوَى وبَرَاه السَّقم
٩-ومحبوبةٍ فوق شَمس الضّحَى ... فلا تَحْفِلنَ ببدرِ الظُّلَمْ
١٠-تَعلَّقتُه ناعسَ المُقلَّتين ... يَنِمُّ على أنَّه لم يَنَمْ
١١-وهِمتُ بِه أسْمَرَ المِرشَفَينِ ... عليه اللَّمَى وعَليه اللِّمَمْ
١٢-فَبَرقُ مُقبِّلِه لا يَشَام ... ووردةُ وجنَتِه لا تُشَمْ
١٣-إذا كَسَرَ الجفنَ من فَترةٍ ... فللجفنِ كسرٌ وللصَّب ضَم
١٤-لِجنسَينِ منه كمَالُ الجمَالِ ... فللعُربِ عينٌ وللتُّرك فَم
١٥-وعَمَّ الوَرَى بالهَوَى خَالُه ... ويَا قَلَّ ما يوجدُ الخالُ عَم
١٦-وعِقْد مقبَّله كلُّه ... يَتيمٌ، ولكنْ نَرَاهُ ابتَسَمْ

وفي البيت السابع: يوضح الشَّاعر أنَّ التَّغزل في النِّساء يأتي بأرق العبارات، وجميل اللقطات بحيث يدخل البهجة والسرور على نفس كل إنسان، ويزيد من انتباه العقول وفطنتها، ويجعل الإنسان ذا صفات صافية خالصة من الشوائب والعيوب، ويعلي من سماته العظيمة قائلًا:

٧-وإنَّ النَّسيب يَسرُّ النُّفوس ويُذكي العُقولَ ويُصفي الشِّيمْ.

ويأتي التِّكرار في الأبيات في قوله:" وإنَّ النَّسيب"؛ ليؤكد للممدوح أنَّ مدحه أهمُ من أي مقدمة غزلية، وذلك لما يمتاز به النَّسيب من سرور النُّفوس وذكاء العقول وصفاء الإنسان من العيوب التي تشينه. والغرض من التِّكرار اللفظي هنا تثبيت المعنى وتأكيده.

والتّعبير بالجملة الاسمية في قوله: " وإنَّ النَّسيب " لتأكيد المعنى، ورسوخه في الذهن. ووصل بين الجمل بعضها مع بعضها لما بينهما من المشاركة في الحكم الإعرابي، وهو كونها خبرا لـ (أنَّ) والمعطوف في حكم المعطوف عليه.

والتّعبير بالفعل المضارع " يَسُر " يشعر باستحضار الصُّورة الماثلة وأثر ذلك النَّسيب على النَّفس والروح معًا.

وعبر بـ " يَسُر " دون " يفرح" وذلك لأنَّ السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعدو، ونقيض السرور الحزن معلوم أنَّ الحزنَ يكون بالمرازئ فينبغي أنْ يكون السرور بالفوائد وما يجري مجراها من الملاذ."[١]

وقد أدرك الشَّاعر قيمة الوصل في إيصال الفكرة وتثبيتها؛ لذا وصل بين جملة " ويُذكي العقولَ" وجملة " يَسر النُّفوس " لما بينهما من الاشتراك في الحكم الإعرابي " أن يكونَ للمعطوفِ عليها موضعٌ من الإعراب، وإذا كانت كذلك، كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكونَ واقعة موقعَ المفرد، وإذا كانت الجملةُ الأولى واقعة موقعَ المُفْرَدِ، كان عطفُ الثَّانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجهُ الحاجة إلى "الواو" ظاهراً، والإشراكُ بها في الحُكْمِ موجوداً"[٢]، تستأنف واحدة معها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يأتي لتمام الصَّواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلَّا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد ..."[٣]

---

١ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٦٥.

٢ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني – القاهرة –ودار المدني –جدة الطبعة: الثالثة –١٤١٣هـ –١٩٩٢م ص ٢٣٢

٣ المرجع السابق ص٢٢٢

وعبَّر بكلمة " يُذكي " دون " يفطن"؛ وذلك لأنَّ" الذكاء تمام الفطنة من قولك ذكت النار إذا تم اشتعالها، وسميت الشمس ذكاء لتمام نورها ففي الذكاء معنى زائد على الفطنة."[1]

وإيثار الشَّاعر الأفعال المضارعة في قوله: " يسر، ويذكي، ويصفي" للإشعار بتجدد واستمرار هذه الصفات وتأثير النَّسيب على النُّفوس، فأثره كأثر السحر على النُّفوس في سرور النُّفوس وذكاء العقول وفطنتها.

والتّعبير بـ " يَسر النُّفوسَ " يشعر بمدى البهجة والفرح الذي يدخله النَّسيب على النَّفس، وقوله:" يُصْفي الشِيَم " تصوير، حيث شبه الشيم بشيء يصفى على سبيل الاستعارة المكنية،

وهذا التَّصوير يشعر بمدى أثر النَّسيب على الشيم، فهو يصفيها من الشوائب، أو ما يعكر صفوها، وبلاغة الاستعارة تكمن بما فيها " من تشخيص وهبة حياة، وذلك أنَّ كميَّة الخيال فيها أكبر من كميته في الاستعارة التَّصريحية، من حيث إنَّ الاستعارة المكنية صورة خيالية أصيلة ملحقة بها صورة خيالية فرعية من قرينتها التخييلية والأخرى، والاستعارة المكنية فيها الكناية عن المشبه به المحذوف بما استبقيناه منه دلالة عليه، وهذا يعني أنَّ ما اجتمع لنا في صورة بيانية واحدة الاستعارة المكنية مجازا وكناية معا."[2]

وكان للتفويف أثره الجمالي في البيت فقد" كسى الكلام رونقًا وجمالًا، فقد جاء الشَّاعر بالمعنى في جمل متناسبة مستوية المقادير، وكذلك أبرزت التَّناسب بين الجمل الثلاث في قوله:" يسر النُّفوسَ، ويُذكي العقول، ويُصفي الشِيَم) وهذا التَّناسب بين الجمل الفعلية، وقد عطف بعضها على بعض، لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى.

وعطف جملة " يُصفي الشِيَم" على جملة " ويُذكي العقولَ "، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لما بينهما من التوسط بين الكمالين، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى،

---

١ نفسه، ص ٨٣.

٢ البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، ط: الثَّانية، ١٩٩٢م، ص ٦٤.

وذلك لأنَّ مما يتصف به النَّسيب أنَّه يسر النُّفوس، ويذكي العقول ويصفي الشيم، وعطف الجملة على الجملة فيه مزيد من التوضيح والتفصيل يقول الإمام عبد القاهر:" اعلم أنَّ العلم بما ينبغي أن تضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة معها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصَّواب فيه إلا الأعراب الخلص وإلا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد ..."[1]

وفي إسناد " النَّسيب" إلى "يسر النُّفوسَ، ويذكي العقول، ويصفي الشيم" مجاز عقلي علاقته السببية فقد أسند كلًا من "يسر و"يذكي" ويصفي" إلى" النَّسيب " وهذا المجاز يؤكد المعنى ويقرره في النُّفوس، لما فيه من دعوى الشَّيء بالبينة والبرهان، و" أل " في " النُّفوس، والعقول، والشيم " للجنس، حيث تشمل جميع العقول والنُّفوس وجميع الصفات.

وفي البيت الثامن يخبرنا الشَّاعر أنَّه من محبي القاضي الفاضل، ودفعه هذا الحب الشديد دفعًا نحو المرض، وقد أضعفه هذا المرض القاسي على قلبه قائلًا:

٨-ولا سِيَمَا وهُو مِن عَاشِقٍ رَماهُ الهَوَى وبَرَاه السَّقم.

ويتعلق معنى البيت الثامن بالبيت السابع قبله، حيث إنَّ هذا الحب قد صدر من عاشق لهذا الممدوح.

والتّعبير بالضمير " هو" للتقرير والإيضاح، ففيه تفصيل بعد إبهام؛ ليتمكن المعنى في الذهن فضل تمكن" وللضمير مذاق يأخذ بالنَّفس من أقطارها عندما يؤثر على الاسم الظاهر ... فيوضع بدلا منه في بنية الجملة وإنما تؤخذ النَّفس بمثل هذا التصرف؛ لأنَّ العرف اللغوي يقتضي أن يكون للضمير مرجع يعود إليه، وذكر الضمير بدون هذا المرجع يلف العبارة بغشاء رقيق من الغموض يبعث في النَّفس شوقًا إلى ما يكمن وراءه، فإذا أدركته وجدت لذلك لذة وأحست بنشوة، ومن صور هذا المسلك أن يذكر الضمير مجردا عنه بما يفسره"[2]

---

١ الدلائل، تحقيق محمود شاكر. ص٢٢٢.

٢ الأسلوب بناؤه وإيحاؤه، د. عبدالموجود متولي بهنسي ج١ ص ١٣٨، وما بعدها، مطبعة الأمانة.

وتنكير " عاشقٍ" يثير الشفقة من هذا العاشق وهو الشَّاعر الذي دفع به إلى المرض والسَّقم الذي لا يستطيع البرء منه. "وسُمي العاشق عاشقًا، لأنَّه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة إذا قطعت"[١]

ويأتي التَّصوير في قوله:" رَماهُ الهوى "، حيث شبه الهوى بجندي يرمي بالسهام، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يُشعر بمدى حب الشَّاعر للممدوح إلى درجة العشق، وكأنَّ هذا الحب قد أدى به إلى أنَّه لا يستطيع الإفلات منه، ويوحي كذلك بسيطرة المحبوب التامة على قلب الشَّاعر، وأنَّ الشَّاعر لا يستطيع الفكاك من هذا الحب، وقلة حيلته أمام المحبوب.

وتكمن بلاغة الاستعارة في تجسيد المعنى وتشخيصه كما جعلت من المعاني الذهنية صورة حسية ملموسة " فقد ثبت وتحقق أنَّ فائدةَ الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السَّامع بالتخييل والتَّصوير حتى يكاد ينظر إليه عيانا"[٢]

وفي قوله: " براه السَّقم " استعارة مكنية، حيث شبه العاشق بقلم يُبرى وشبه السَّقم بآلة حادة تأكل من العاشق وتبريه.

وقد عبر الشَّاعر بلفظ العشق للدَّلالة على أنَّ حب الممدوح بلغ من الشَّاعر مبلغًا عظيمًا فمن شدة حبه له فقد بلغ به الحب مرتبة أعلى فسار يسري في روحه.

وقد وصف العاشق بأنَّه " رماه الهوى وبراه السَّقم " وذلك لأنَّ الجمل بعد النكرات صفات وفي ذلك من تخصيص الوصف بما فيه، والغرض من وراء الوصف بالنكرة المدح " واعلم أنَّ الجملة قد تقع صفة للنكرة، وشرطها أنْ تكون خبرية؛ لأنَّها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر، فلم يستقم أنْ تكون إنشائية مثله؛ وقال السكاكي: "لأنَّه يجب أن يكونَ المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف، لأنَّ الوصفَ إنَّما يؤتى به ليميز به الموصوف مما عداه، وتمييز المتكلم شيئا من شيء بما لا يعرفه له محال ، فما لا يكون عنده محققا للموصوف يمنع أن يجعله وصفًا له بحكم

---

١ لسان العرب ج١٠ ص ٢٥٢.

٢ المثل السَّائر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، النَّاشر: مكتبة نهضة مصر الفجالة، بدون تاريخ ج٢ ص ٣٥.

عكس النفي، ومضمون الجمل الطلبية كذلك؛ لأنَّ الطلب يقتضي مطلوبًا غير متحقق لامتناع طلب الحاصل، فلا يقع شيء منها صفة لشيء، والتعليل الأول أهم ؛ لأنَّ الجملة الإنشائية قد لا تكون طلبية"[1]

ووصل بين قوله:" رَماهُ الهوى " وقوله:" وبَراه السَّقم" لما بينهما من الاشتراك في الحكم الإعرابي حيث وقعت جملة " رماه الهوى " صفة لعاشق ثم عطف عليها جملة " وبراه السَّقم" وبهذا الوصل أكد الشَّاعر الفكرة التي أرادها وهي أنَّه ممن وقع في شباك هذا الحب.

وليؤكد الشَّاعر على أنَّ هذا العشق راسخٌ في قلبه لا يتغير عبَّر بالأفعال الماضية "رماه، وبراه" مما يوحي بأنَّ هذه الأفعال متحققة الوقوع.

ويخبرنا الشَّاعر في البيت التاسع: بأنَّه رب معشوقة له قد تعلو الشمس في وقت الضحى لما لها من منزلة سامقة في فؤاده، وهذه المعشوقة قد تغنيه عن ضياء القمر في الظلام الشديد والسواد القاتم.

٩-ومَحبُوبةٍ فَوْقَ شَمسِ الضُحَى فلا تَحْفلن ببدرِ الظُّلَم.

وقد جر الاسم " المحبوبة " برب المحذوفة الدالة هنا على التقليل والندرة، فمحبوبته من النِّساء النادرة؛ ولذا استحقت أن تكون محبوبته " ويدعم التقليل باستخدامه فنية التّنكير في قوله:" محبوبة "؛ إذ التّنكير هنا يفيد تعظيم المحبوبة وشدة جمالها، وقد جعل الشَّاعر للمحبوبة منزلة مثل منزلة الشمس عن طريق تشبيه المحبوبة بالشمس في الإشراق والوضوح والظهور، وعاون على فهم هذا المعنى تنكير " محبوبة " مما يدل على ندرة تلك المحبوبة وعدم وجود من يضاهيها في حسنها وجمالها الذي فاق صفاء الشمس في إشراقها.

وإضافة " شمس " إلى الضحى " يشعر بالإشراق؛ لأنَّه الوقت الذي تكون فيه الشمس واضحة الإشراق، ولم يكتف بذلك بل بالغ في وصفها بأنَّها تعلو شمس النهار بجمالها وإشراقها.

وقد سبقه إلى هذا المعنى كثير عزة في قوله:

---

١ الإيضاح للخطيب القزويني، الطَّبعة: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ج١ ص ٥٢، ٥٣

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن (عند موفق) لقضى لها.

ثم يواصل الشَّاعر حديثه بأنَّ جمالَ المحبوبة يغنيه عن ضياء القمر بأسلوب النهي في قوله:

" فلا تَحفلن ببدرِ الدجَى" فهو ينصح نفسه ويرشدها معبرًا بأسلوب النهي.

والمراد بالنهي في قوله:" فلا تَحْفلن" النَّصح والإرشاد، فالشَّاعر ينصح من هم على شاكلته أن لا يحفلوا بالبدر لوجود المحبوبة التي تضيء الكون بجمالها.

وفي التّعبير بقوله:" فلا تَحفلن ببدرِ الظلم " تجريد، حيث جرد الشَّاعر من نفسه شخصًا آخر يخاطبه ويحادثه، فالتجريد البديعي، فيه نوع من التخييل، فالتجريد هو" العنصر المحرك المميز الفعال للعملية الإبداعية، ومن ثم كان التجريد من أهم الأدوات الفنية التي يمكن أن يستعين بها الشَّاعر لطبيعتها الفنية المميزة، ولما تقدمه هذه الطبيعة من وظيفة يصعب أنْ ينهض بها غيرها من وسائل التّعبير."[1]

فقد رسم بـ " الفاء" في قوله:" فلا تحفلن ببدر الظلم " المشهد الذي أراد أنْ يرسمه وهو عدم الحفاوة ببدر الدجى، والاهتمام بالمحبوبة التي عبر عنها بشمس الضحى.

وإضافة " بدر" إلى" الدجى " يشعر بالتقليل من شأن هذا البدر بجانب محبوبته، وتوحي كذلك بأنَّ البدر لا يظهر إلا وقت الظلام، وقد أغنى جمال المحبوبة المعبر عنها بالشمس الشَّاعر المحب عن البدر الذي يظهر في الظلام، والليل الحالك شديد السواد الذي ينير للناس طريقهم.

وإنَّما سُمي البدر بهذا الاسم " لأنَّه يُبادر الشمس ويقال: هذه ليلة البدر"[2]

وبين قوله: " شمس " و" بدر" مراعاة نظير، أوقت بالغرض المسوق له الكلام، حيث إنَّ شمس النهار لا تظهر إلَّا في وقت الضحى، أمَّا البدر فلا يظهر إلا في الليل المظلم الشديد السواد.

وهذا التَّناسب أحدث انسجامًا وتلاؤمًا معنويًا بين الجملتين.

---

١ ألوان البديع في ضوء الطبائع الفنية، د. محمد علي فرغلي، طبعة ١٩٩٨م ص ١٠٠.

٢ كتاب الألفاظ لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ) تحقيق: د. فخر الدين قباوة، النَّاشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطَّبعة: الأولى، ١٩٩٨م، ص ٢٨٩.

كما حسن الطِّباق الخفي بين " الشمس "و" الظلم"، فليست الشمس ضد الظلام، ولكن نورها التي تشعه ضد الظلام، فالشمس يلزمها النور الذي هو ضد الظلام والعتمة، وهذا الطِّباق أوضح المعنى وأكده وأبرزه وكما نقول الضد يظهر حسنه الضد.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن المحبوبة بأنَّه قد انجذب لصاحبة العينين النائمتين، وهذا دليل على عدم تمكن الشَّاعر من النوم لانشغاله بمحبوبته التي لم تغادر عقله وقلبه.

١٠-تَعلَّقتُه ناعس المقلتينِ يَنِمُّ على أنَّه لَمْ يَنَمْ.

ويعبر الشَّاعر عن قوة جاذبية المحبوبة، وشدة تعلقه بها بقوله: "تَعلُّقته " للدَّلالة على شدة جمال المحبوبة.

وتضعيف عين الكلمة في قوله: " تَعلَّقتُه" للإشعار بأنَّ هذا التعلق كان شديدًا قويًّا؛ وذلك لأنَّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وفي ذلك يقول ابن الأثير:

" فاللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد أنْ يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولًا؛ لأنَّ الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عليها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا يستعمل إلا في مقام المبالغة."[١]

وإضافة " ناعس" إلى المقلتين " يدل على فتور عيني المحبوبة وشدة جمالها، فهي عيون المحبوبة التي يتمناها الشَّاعر، وقد أغنت هذه الإضافة عن تفصيل يتعذر معه أنْ يقول تعلقته بعيون المحبوب التي تتسم بفتور العينين التي تنبعث منهما نظرات ساحرة، فالإضافة ساهمت في تصوير شدة جمال تلك العيون التي عشقها الشَّاعر.

ويتضح رد العجز على الصدر في قوله:" يَنِم " وقوله: " ينم "، حيث جاءت الكلمة الأولى في صدر العجز والثَّانية في آخر البيت، وقد تعانق المحسن البديعي مع

---

١ من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) د. عبد الفتاح لاشين ص ٤٦ منقولا عن المثل السَّائر

ج٢ ص ٢٥٠.

الجناس، حيث إنَّ اللفظة الأولى بمعنى يظهر أو يكشف، والثَّانية بمعنى ينم من النوم والنعاس، وقد أضفى هذان المحسنان على البيت موسيقى عذبة وانسجام، مما أدى إلى الترابط بين أجزاء البيت وزيادة رنة الألفاظ عن طريق إعادة الكلمة مرة ثانية.

والتّعبير يشعر بعدم تمكن الشَّاعر من النوم؛ لانشغال قلبه وعقله بالمحبوبة، أمَّا المحبوبة فقد ملأ النوم عينيها.

والتّعبير بصيغة المضارع في قوله: " يَنِم، و" لم يَنَم " لاستحضار الصُّورة التي عليها الشَّاعر من عدم وصول النوم إلى عينيه، وعاون على هذا المعنى الفعل المضارع المسبوق بلم الجزم التي نفت الفعل نفيًا تامًا.

ويسترسل الشَّاعر في حديثه عن المحبوبة في البيت الحادي عشر فيقول: لقد عشقت محبوبتي صاحبة الشفتين ذواتي اللون الأسود، وكان باطن شفتيها أشد سوادًا، وهذا من علامات جمال محبوبتي، ولديها شعر جذاب قد وصل إلى أذنيها الجميلتين.

١١-وهِمتُ[١] به أسْمَرَ المِرشَفين عليه اللَّمى[٢] وعَليه اللِّمَمْ

وعبر بلفظ "هِمت" دون غيرها ليوحي بشدة حب الشَّاعر وعشقه لمحبوبته؛ وذلك لأنَّ الشَّاعر قد اشتد به العشق، والتّعبير بصورة الماضي بدلًا من المضارع، يشعر بأنَّ الشَّاعر قد وقع بالفعل في الهيام والعشق، وأنَّه قد كتب عليه العشق أزلا وما زال وليس المعنى أنَّه قد هام وانقضى ذلك العشق والهيام، ولكن مازال هذا العشق متقدًا في قلبه.

والتّعبير بالجار والمجرور في قوله:" به " أي أنَّ هذا الأمر خاص بالمحبوبة دون غيرها، ووصف الشَّاعر لشفتي المحبوبة بـ " أسمَر" في قوله: " أسمر المرشَفَين" يوحي بجمال الشفتين وذلك إذا كان بهما سواد يعلوهما.

وإضافة " أسمر " إلى " المرشَفَين" حقق الإيجاز، إذ أغنت الإضافة عن تفصيل متعذر وفي ذلك يقول الدكتور محمد أبو موسى: " إنَّ التَّعريف بالإضافة يكون لأنَّه

---

١ هام يهيم هيما وهيمانا إذا أحب المرأة، والهيام، العشاق، لسان العرب ج١٢ ص ٦٢٦.

٢ اللمى، مقصور: سمر الشفتين واللثات يستحسن. لسان العرب ج١٥ ص ٢٥٨.

ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السَّامع أخصر منه، أي – بقصد إليه رغبة في الإيجاز... وقد تكون الإضافة أي: يقصد إليه رغبة في الإيجاز أو تكون مغنية عن تفسير يتعذر.[1]

وقدم الشَّاعر الجار والمجرور في قوله:" عليه " على المسند إليه " اللَّمى " لما في تقديم المسند من تشويق إلى ذكر المسند إليه.

وفي التّعبير بـ " اللِّمم " ما يشعر بشدة سواد الشّعر المتدلي بجوار الأذن، وهذا من جمال المرأة، فقد جمع بين سواد الشفتين، وسواد الشّعر المتدلي عند شحمتي الأذن.

وفي تقديم الجار والمجرور في قوله:" عليه " على المسند إليه " اللمم"، ما يشعر بالتشويق إلى ذكر المسند إليه، وكذلك رعاية للفاصلة.

وبين " اللّمى" و" اللمَم" جناس، وذلك لأنَّ الكلمة الأولى يختلف معناها عن الكلمة الثَّانية، فالأولى تعني شدة سواد الشفتين، والثَّانية تعني الشّعر المتدلي بجوار الأذن، مما أضفى على البيت موسيقى عذبة.

وبلاغة هذا الجرس " أنَّه يؤثر في النُّفوس تأثير كالسحر، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم، لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن، وتهش لها النَّفس، فتقبل على السماع من غير أنْ يداخلها ملل أو يخالطها فتور؛ فيتمكن المعنى في الأذهان، ويقر في الأفكار، ويعز لدى العقول. [2]

ويسترسل الشَّاعر في ذكر أوصاف محبوبته واصفًا بأنَّ وميضَ ولمعان وجه محبوبته لا يقدر بمقدار معين لشدته وروعته فبريق أسنانها له، والوردة المرتسمة على ما ارتفع من خديها غاية في الجمال فهي طبيعية ولم ترتسمها بوشم.

١٢–فبَرقُ مُقبَّله لا يَشَامُ[3] ووردةُ وجنتَه لا تُشَمْ[4].

---

١ خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى، النَّاشر: مكتبة وهبة، الطَّبعة: الرابعة ١٤١٦هـ –١٩٩٦م ص ٢١١.

٢ الصبغ البديعي د. أحمد موسى، ط، دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٨هـ ص ٤٩٧.

٣ وأصل الشيم: النظر إلى البرق، ومن شأنه أنه كما يخفى من غير تلبث ولا يشام إلا خافقا وخافيا، لسان العرب ج١٢ ص ٣٣١.

٤ الشم، حس الأنف، شممته أشمه وشمته أشمه شما وشميما وتشميمة، لسان العرب ج١٢ ص ٣٢٥

وعبر الشَّاعر عن جمال أسنان محبوبته ولمعانها بقوله:" فَبَرق مُقبَّله" بإضافة " برق" إلى مقبله" مما يضفي على المحبوبة الجمال واللمعان والبريق اللامع الخاطف للأنظار.

والتّعبير بصيغة المضارع المنفي في قوله: لا يَشَام " قد أدى المعنى المراد أفضل تأدية، حيث إنَّ جمال هذه المحبوبة لا يُقدر ولا يستطيع أحد النظر إليها؛ وذلك لأنَّ شدة جمال هذه المحبوبة قد يخطف أو يبهر الأنظار وتشغف به القلوب.

والتّعبير بقوله:" فَبَرق مقبَّله لا يَشام" كناية عن لمعان أسنان المحبوبة وجمال فمها وجمالها الأخاذ الذي يخطف الأنظار.

ولشدة جمال وجنتي المحبوبة، وأنَّ الحمرة التي ارتسمت على خديها طبيعة فيها، ولم ترتسم بأي لون، أضاف " وردة " إلى " وجنته" فالإضافة هنا أفادت تشريف تلك الوجنة وجمالها وحسنها وبهائها. وقوله:" ووردة وجنته لا يشام" كناية عن حمرة الخدين وجمالهما.

وإضافة "وجنة " إلى ضمير الغائب في قوله:" وجنته" للإشعار بأنَّ الوجنتي المقصود بهما وجنتي المحبوبة لا وجنتي غيرها، وهذا التّعبير يشعر بجمال خد هذه المحبوبة وحمرة ذلك الخد.

والتّعبير بصيغة المضارع المسبوق بالنفي في قوله: " لا تُشَم" للدَّلالة على أنَّ الحمرة التي تعلو خدي المحبوبة ليس لها رائحة كرائحة الورد، وإنَّما حمرتها من جمال خديها.

وقد تعانق التَّصريع في البيت مع المماثلة[1] مما أضفى على البيت موسيقى عذبة، وزاد البيت قيمة فنية تتمثل في أنَّه يفصح عن القافية والروي الذي بجانب وقعه التنغيمي الذي يطرب النَّفس ويهيؤها للاستماع إلى باقي الكلام وعقباه كيف تكون.

وبين " يَشام " و" تُشم " جناس، حيث إنَّ معنى الأولى غير الثَّانية فيشام بمعنى يقدر، والثَّانية بمعنى تشم عن طريق الأنف.

---

١ المماثلة: ما كان في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن. الإيضاح ص٢٩٩.

وبين الشطرين رد للأعجاز على الصدور، وفيه تقرير وبيان، ويستطيع السَّامع أنْ ينطق بالقافية الشِعرية، أو بالشطر الأخير بمجرد سماعه الشطر الأول هذا فضلًا عن الموسيقى اللفظية التي أحدثها هذا اللون البديعي، فالتآلف الموسيقي الرائع بين الجناس ورد العجز على الصدر أحدث بالبيت رنينًا عاليًا ناسب الحالة التي عليها الشَّاعر وقت النَّظم من وصفه لجمال تلك المحبوبة، وهذا ما مما استدعاه النَّظم بتآلف كلماته وترابطها وانسجامها بجوار بعضها البعض بحيث لو وضعت كلمة مكان أخرى لما كان لها هذا الأثر.

وآثر التّعبير بالفعل المبني للمجهول "تشم" لأنَّه أراد تعظيم وتفخيم وجنة هذه المحبوبة، وكان لاستخدام الشَّاعر هذا التّعبير ما يوضح قدرته الفائقة على استخدامه فهو" ضمن أساليب دقيقة مع تأدية وظيفتين في آن واحد؛ وظيفة تعبيرية، ووظيفة فنية جمالية، وفي هذه وتلك دليل ساطع على حيوية اللغة العربية وثرائها، ورد بين على من اتهم كفاية هذه اللغة في الوفاء بمتطلبات التّعبير"[1]

والتماثل بين شطري البيت أحدث توازنًا موسيقيًا فصارت كل كلمة من الشطر الأول تقابل كل كلمة في الشطر الثاني، وهذا أحدث انسجامًا وتلاحمًا وترابطًا بين الشطرين.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن تعداد صفات المحبوبة فيقول:" بأنَّه إذا أغمض الحبيب عينه لمدة قصيرة، فإنَّ العين تغمض، ولكن ليل الشوق باق يضمه إليه بلهفة شديدة وبذكريات أخاذة.

١٣-إذا كَسَر الجِفنَ من فترةٍ فللجِفنِ كسرٌ وللصَّبِّ[2] ضَم.

والتّعبير بـ " إذا" بدلا من (إن) في قوله: " إذا كَسَر الجفنَ" للإشعار بتحقق وقوع الفعل وتأكيده، أمَّا (إن) فتشعر بقلة حدوث الفعل بل ندرته، كما استشعر من التّعبير بـ (إذا) المفاجأة وعاون على فهم هذا المعنى الفعل الماضي " كَسَر" ويدل كذلك

---

١ الفعل المبني للمجهول، عبد الفتاح محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٢ العدد ١+ ٢، ٢٠٠٦.

٢ الرجل الصب، وامرأة صبه، وهو يصب إليها عشقا، وهو الوجد والمحبة، كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، النَّاشر: دار مكتبة الهلال، ج٧ ص ٩٠.

على عدم تحقق نوم الحبيب، والشرط فيه من الوضوح والبيان لدلالته على تحقق الشَّرط ، وما قواه فعل الشَّرط المعبر عنه بصيغة الماضي الدال على تحقق الوقوع ، ومجيء جواب الشَّرط جملة اسمية مقترنة بالفاء عاونت على تأكيد المعنى وثبوته، وجملة فعل الشَّرط تثير في نفس المخاطب وتشوقه إلى معرفة الجزاء فإذا ما وردت ثبتت في الذهن وتمكنت منه فضل تمكن.

وآثر الشَّاعر التّعبير بـ " إذا " لإفادة التحقيق فاستخدام " إذا" دون "إن"؛ وذلك لأنَّ "إذا" تؤكد وقوع الفعل فضلًا عما تحويه في طياتها من معنى الفجائية.

و" أل " في " الجفن " للعهد أي جفن المحبوب المعهود بالحال والتأثير بسحره لا جفن غيره.

والتّعبير بالجملة الشَّرطية، حققت الإيجاز والاختصار، وقد أتى جوابُ الشَّرط متلاحقًا مترابطًا بفعل الشَّرط في قوله:" فللجفن كسرٌ وللصبِّ ضَمْ" أي إذا حاول العاشق إغماض عينه ولو لمدة قصيرة يمنعه العشق والغرام من النوم والنعاس فالترابط والتلازم في ربط بعضها ببعض لبيان أهمية الخبر وإفادة ثبوت الحكم.

وقوله:" للجفن كسرٌ" ذكر للخاص بعد العام، فقد ذكر أولًا الجفن على سبيل العموم ثم ذكر ثانيًا أنَّ للجفن كسرعلى سبيل الخصوص.

والنَّفس الإنسانية بالفطرة التي جبلت عليها بذكر الشَّيء المجمل تكون متتوقة إلى ما سيأتي بعد هذا الشَّيء المجمل فإذا جاء الشَّيء مفصلًا اطمأنت النَّفس وهدأت وفي ذلك يقول الإمام عبدالقاهر: " ليس إعلامك الشَّيء بغتة غفلًا مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الأعلام في التأكيد والإحكام، ومن ها هنا قالوا: إن الشَّيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار"[1]

وفي قوله:" للجفن كسرٌ، وللصَّب ضم" حسن تقسيم، حيث جعل لكل ما يليق به فجعل للجفن الكسر وقلة النوم، وجعل للعاشق الذكريات والأرق، فالليل يضمه إليه ضمًا، أي جعل للعاشق السهر والذكريات الجميلة التي تمنعه من النوم، وقد أضفى هذا المحسن على الكلام أنغاما موسيقية مقطعية فضلًا عن الانسجام والترابط بين

١ الدلائل، للإمام عبد القاهر، ص ١٣٢.

أجزاء الكلام، وتتكير كلمة " فترة " يفيد القلة، فالشَّاعر لا يغمض عينه، وكأنه يخشى ذلك حتى لا تغيب عن ناظريه.

وقد جاء جواب الشَّرط بـ " الفاء" التي تفيد سرعة الاستجابة وعدم الإمهال.

ووصل بين جملة " فللجفن كسرٌ" وبين جملة " وللصَّب ضَم " لما بينهما من التَّناسب بين الجملتين، وهذا التَّناسب وذلك العطف جعل للجفن الكسر من كثرة السهر وجعل للعاشق الأرق والسهر على ما أصابه من هذه المحبوبة.

وفي البيت الرابع عشر يخبرنا الشَّاعر بأنَّ هناك نوعين من البشر يكملان الجمال البشري، نوع خاص بالعرب، وهو جمال العين الذي يشد الناظرين، ويلفت الانتباه ونوع خاص بالعجم، وهو جمال الفم الذي ينجذب له العشاق المتيمين برابطة الحب.

١٤-لِجنسينِ منه كَمَالُ الجَمَالِ فللعُربِ عَينٌ وللتُّرك فَم.

ويستهل الشَّاعر حديثه بأسلوب يلفت الانتباه وهو: التوشيع[١] فبعد أنَّ ذكر الجنسين للجمال البشري أخذ يوضح ويفصل ذلك، فجعل للعرب جمال العيون الذي يشد ويجذب الناظرين وجعل للترك جمال الفم.

وفي تقديم الجار والمجرور في قوله:" لجنسين" على " كمال الجمال " المؤخر للتشويق إلى ذكر المؤخر، حيث يجعلَ السَّامع لديه تشوق لمعرفة هذين الجنسين، والتّعبير بقوله:" منه " إشاره إلى أنَّ كمال الجمال يكون لهذين الجنسين دون غيرهما. وفي إضافة " كمال" إلى " الجمال " ما يفيد عظمة هذا الجمال الذي بلغ قمة الكمال.

ثم أخذ الشَّاعر يوضح ما لكل من آحاده، فجعل للعرب جمال العيون قائلًا:" فللعُرب عينٌ" عن طريق أسلوب القصر، وطريقه التَّقديم، فقد قصر جمال العيون على العرب قصرًا ادعائيًا، وهذا القصر للإيجاز والمبالغة، فقد بالغ الشَّاعر في جمال عيون العرب الذي يلفت الأنظار ويشغف القلوب. وعاون على فهم المعنى تنكير كلمة " عين" التي تفيد تعظيم تلك العيون وجمالها.

---

١ التوشيع: أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر. الإيضاح ص ٢٩٩.

وعقب ذلك بـ " الفاء" التي تفيد الترتيب والتعقيب بدون أنْ يترك للسامع مهلة أو فرصة للتفكير، فالفاء " تجعل أول ما دخلت عليه موصولًا بآخر ما عطفت عليه، وكأنَّها عروة يمسك بها الحدث بالحدث، والفعل بالفعل، والقول بالقول، والحركة بالحركة، وتنتج لك من كل هذه الأحداث والأقوال والأفعال والانفعالات صورة واحدة وفعلًا واحدًا قد كونته كل هذه المكونات."[1]

ويتعاون القصر الثاني في قوله:" وللترك فَم" مع القصر الأول، فقد جعل للترك جمال الفم قصرًا حقيقيًا ادعائيًا، طريقه التَّقديم مبالغة في أنْ جعل للترك انبهارهم بجمال الفم. وعاون على فهم المعنى تنكير " فم" الذي يشعر بجمال هذا الفم ودقته. والبيت رغم خلوه من المجاز إلا أنَّ الألفاظ والعبارات تتوالى في تناسق وانسجام مصورة ما أراده الشَّاعر.

وفي البيت الخامس عشر يقول الشَّاعر: لقد انتشر حب المحبوبة وساد، وقل في هذا الزمان من يماثله، فهو متفرد بصفات عظيمة لا يضاهيه إنسان، فقد عم الورى بكبره وخيلائه وجماله.

١٥-وعَمَّ الوَرَى بالهَوَى خَالُه ويا قلَّ ما يُوجدُ الخالُ عَم.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن المحبوبة التي عمَّ حبها الخلق جميعًا، فكان التّعبير عنه بصيغة الماضي " عمَّ" الذي يفيد بصيغته هذه العموم والانتشار والذّيوع، و" أل " في الورى" للجنس أي عموم الخلق جميعًا قد أعجبهم هذا الخال الذي تميزت به.

ولكون الشَّاعر يقصد الأحياء دون الأموات عبر بـ " الورى" " فالورى الأحياء منهم دون الأموات، وسمي الورى ورى لظهوره على وجه الأرض، ويقال الناس الماضون ولا يقال الورى الماضون"[2]

وفي قوله:" بالخال" توريةٍ، حيث عبَّر بالمعنى القريب وهو الخال عن أخي الأم، وأراد المعنى البعيد وهو الخيلاء والكبر، وذكر ما يرشح المعنى القريب وهو الخال أخو الأم، " وتكمن بلاغة التَّورية في " أن المعنى البعيد المورى عنه يبدو من خلف

١ شرح أحاديث من صحيح البخاري للدكتور محمد أبو موسى ص ٥٤.
٢ الفروق اللغوية ص ٥٢٨.

المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة، كما يبدو وجه المرأة الحسناء من وراء البرقع.[١]

ووصل الشَّاعر بين جملة " ويا قل ما يوجد الخال" وجملة "وعم الورى بالهوى خاله" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى.

وفي النداء بـ " يا" ما يشعر ببعد المنزلة التي وصل إليها الممدوح، وفي التّعبير بأداة النداء " يا " التي للبعيد ودخولها على الفعل الماضي ما يشعر بالمعنى الذي أراده الشَّاعر، وهو ندرة وجود أي شخص يتصف بصفات الممدوح. وعاون على فهم المعنى السابق التّعبير بقوله:" قل" بصيغة الماضي الذي يفيد تحقق الفعل وتأكيده، والتّعبير بـ " ما " يشعر بالعموم.

وقوله:" وعمَّ الورى بالهوى خاله" كناية عن كبرياء وخيلاء المحبوبة الذي يتعجب منه الخلق جميعًا، وهذا التَّصوير يشعر باستحالة من يشبه المحبوبة في صفاتها، كاستحالة أنْ يكون الخال عمًا في آنٍ واحدٍ، فالكناية وما تؤديه من التصوير والإيجاز وكذلك الإقناع والإمتاع ،لأنَّها تعطي المعنى مصحوبًا بالدّليل عليه.

وبين " عَمَّ وبين " عَمْ " رد للأعجاز على الصدور، وقد أضفى هذا المحسنُ على البيت موسيقى عذبة. وقد عبر عنه إبراهيم سلامة بأنَّه " نابع من ذوق العربي في الشِّعر ويرجع الحسن فيه إلى نوع الدلالة؛ التي تهدف إلى التقرير والتَّبيين والتدليل، وإلى ما فيه من زيادة المعنى التي ترجع إلى الإيحاء النابع من اللفظ الأول يتوقع الثاني، كما أنَّ التردد المتمثلَ في اللفظتين؛ يعطي لونًا من الإيقاع الموسيقي يتقارب مع الغناء؛ الذي يطلب فيه ترداد بعض ألفاظ بعينها يدركها السَّامعون على البديهة بمجرد الإنشاء"[٢]

وقد تعانق الجناس مع رد الأعجاز على الصدور في "عمَّ" و "عَم" مما أحدث تناغمًا موسيقيًا أضفى على البيت جمالًا أخاذًا، أضفى على الأسلوب رونقًا وبهاء، وقد

---

١ البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار. دار المعالم الثقافية، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م، ص ١٨٤.

٢ البلاغة والأسلوبية نقلا عن بلاغة أرسطو بين العرب واليونان لمحمد عبد المطلب، ص ٢٩٩.

تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عنه قائلًا: " كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنَّه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها"[1]

وفي البيت السادس عشر يتحدث الشَّاعر عن أسنان محبوبته التي لا نظير لها ولن يتكرر أن يولد مثله، فهو يتيم لا مثيل له، وبرغم نفاسة عقد مقبله أي موضع القبل إلا أنَّه جاد بابتسامة.

١٦ –وعِقْد مقبَّله كلُّه يَتِيمٌ، ولَكن نَرَاهُ ابتَسَم.

قوله:" وعِقْد مقبَّله" تشبيه أبان عن جمال أسنان المحبوبة ولمعانها وكأنَّها در منثور من شدة جمالها وبياضها فهي أشبه باللؤلؤ المنظوم، وعاون على فهم هذا المعنى إضافة "عقد" إلى "مقبله" وإضافة " مقبل" إلى " ضمير الغائب " في قوله:" مقبَّله" للتخصيص، فهذا المقبل خاص بمحبوبته ولا يشبهها فيه أحد، إذ يحتوي على أسنان بيضاء لامعة تضفي عليه رونقًا وجمالًا.

والتّعبير بقوله:" كله" يشعر بعموم الجمال لهذا الفم بما فيه من الشفتين والأسنان وغيرها.

ووصف " العقد" بكونه " يتيم" يوحي بنفاسته، فهو غال نفيس وليس له مثيل في جماله ولا ينازعه فيه أحد، كما أنَّ هذا التّعبير بقوله:" يتيم" يشعر بانفراد هذا الفم وتلك الابتسامة.

وقوله:" يتيم " ورَّى بها عن تلك الأسنان التي لا يضاهيها أي أسنان، وهو المعنى المقصود الذي أراده الشَّاعر وأمَّا المعنى القريب عبر عنه بيتيمة الدهر وهو غير مراد فلا يوجد له منافس،وقوله:" يتيم " ورَّى بها عن تلك الأسنان التي لا يضاهيها أي أسنان، وهو المعنى المقصود الذي أراده الشَّاعر، وأمَّا المعنى القريب عبَّر عنه بيتيمة الدهر وهو غير مراد فلا يوجد له منافس.

وقد كان لاستخدام الشَّاعر الفعل المضارع الأثر الكبير في إبراز المعنى وإيصاله إلى المتلقي، إذ آثر النَّاظم التّعبير بالفعل المضارع " نراه" بدلًا من الماضي لاستحضار الصُّورة الماضية، وتشخيص الحدث أمام الأعين حيًا مشاهدًا، فضلًا

---

١ دلائل الإعجاز ص ٥٢٤.

عن أنَّ التّعبير به يدل على محاولات الشَّاعر المتجددة، وسعيه المتواصل للوصول إلى ما يبتغيه.

إنَّ الألفاظ والعبارات في هذا البيت تتناسق وتتناغم؛ لتوحي بالجو الشعوري الذي غلف البيت، وتصور شعور الشَّاعر وإحساسه.

وفصل بين جملة " ابتسم" وجملة " نراه"؛ لأنَّ جملة "نراه" أثارت سؤالًا تقديره: ماذا تراه؟ فكان الجواب بقوله:" ابتسم" وهذا ما يسمى بشبه كمال الاتصال.

ثم يستدرك عن ذلك قائلا:" ولكن نراه ابتسم" أي أنَّ أسنانها بدت بابتسامة لم يكن لها نظير.

المقطع الثالث: رد العواذل وشدة هواه.

١٧-أَيَـــا عَـــاذِلي فِيـــه لمَّـــا رَآهُ لِـــئنْ كُنـــتَ أعْمَـــى فـــإنَّي أصَـــمْ

١٨-وهَبـــكَ أبـــاذَرٍّ هَـــذَا الكـــلامِ فَهَبنِـــي أبَـــا جَهـــلِ هَـــذا الصَّـــنَمْ

١٩-وأيْـــن العَـــواذل ممَـــنْ هَويْـــتُ ولَـــو كُـــنَّ ثـــمَّ لأبْصـــرنْ ثَـــمْ

٢٠-أُسِـــرُّ الغـــرامَ ويبـــدُو علـــيَّ ومـا انكَـتَم الشَّـيبُ تَحـتَ الكَـتَمْ

٢١-علـــى أننـــي مُـــذْ عرفـــتُ الهَـــوَى جهلـــتُ النُّهـــى واســـتطبتُ الألَـــمْ

٢٢-وبِعْـــتُ الكَـــرَى واشـــترَيتُ السُّـــهادَ فَمَـا ذُقـتُ طَعْـمَ الكَـرَى مُنـذ كَـمْ

٢٣-وأربعـــــةٌ قـــــطُّ لـــــم تُفتـــــرِق هَـــوَى، وجَـــوَى وحَيَـــاة وهـــمْ

٢٤-ولا تَعجَـــــبَن لحَيـــــاةِ الهُمُـــــومِ حَيَـــاةُ الهُمُـــوم بمَـــوْتِ الهِمَـــمْ

٢٥-وَيَـــومٍ كليلـــةِ صَـــد الحَبيـــبِ يُقـــالُ أضَـــاءَ وقُلـــتُ ادلَهَـــمْ

وفي البيت السابع عشر يمضي متهمًا هؤلاء العذال بالعمى؛ لأنَّهم تناكروا جمال المحبوبة ولم يعذروه قائلًا:

١٧-أيَا عَاذِلي فِيه لمَّا رآهُ لَئن كنتَ أعمَى فإنَّي أصَم.

ويلاحظ أنَّ الشَّاعر قد انتقل في البيت من الأسلوب الإنشائي إلى الأسلوب الخبري مما يدل على سعة الشَّاعر في تنوع أساليبه التي وظفها لتجسيد ما يجد في نفسه من أحاسيس راغبًا في تأصيل المعنى في نفسه.

ويخاطب الشَّاعر العذال بأسلوب النداء مستخدمًا أداة النداء" أيا" التي للبعيد في قوله: " أيا" تنزيلًا للبعيد منزلة القريب تهوينًا وتحقيرًا لمكانته.

فـ " النداء الذي للتنبيه يشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسامعه، فضلًا عن أنَّه يجعل المتكلم غير صاغٍ لكل ما يُلقى إليه.

. وإضافة " عاذل" إلى " الياء" في قوله:" عاذلي" وكأنَّهم يتفرغون له ويتربصون به ويترقبونه دوما، وقد أغنت الإضافة عن تفصيل متعذر فبدلًا من أن يذكر فلانًا وفلانًا، حققت الإضافة الإيجاز والاختصار. وقوله:" فيه" كناية عن الحب والوله بالمحبوبة.

والتّعبير بالفعل الماضي " رآه" للإشعار بتحقق رؤية العاذل لمحبوبة الشَّاعر وعلمه بشدة جمالها، وأنَّه قد اطلع على حسنها وفتنتها، لذا كان يحسده ويحقد عليه.

ويأتي الالتفات في قوله: أيا عاذلي فيه لما رآهُ " من الغيبة إلى الخطاب في قوله:" لئن كنت"" وذلك لتنشيط الذهن وإيقاظه، فإنَّ السَّامع متى قيل أمامه أسلوب حاد عنه إلى طريق آخر انتبه إلى مفهوم الكلام متى سيوجه.

وقد جاء النَّاظم بحرف المد " الألف " في البيت ليصور مدى إحساسه بما ارتكبه هؤلاء العذال فرسم هذا الحرف مدى ما ألمَّ بالشَّاعر، وكأنَّه من خلال هذا الحرف يبث مشاعره وأحاسيسه ويلقي بالعتاب على هؤلاء العذال.

والتّعبير بقوله:" لئن كنت أعمى" كناية عن عدم رؤية العوذال لهذا الجمال الذي تفتتن به القلوب والعقول.

ويأتي حذف القسم في قوله:" لئن كنت أعمى" والتقدير: والله لئن كنت أعمى، وجواب القسم جاء مقترنًا بالفاء في قوله:" فإنَّي أصم" حيث لا يترك فرصة للوام والعذال، ولم يستمع لأي كلام منهم.

وبين " العمى" و " الصمم " مراعاة نظير، أكد المعاني التي أراد الشَّاعر أن يبثها من خلال التّعبير بالعمى والصمم، فإن كان هؤلاء اللوام عُمي البصيرة عن جمال المحبوبة فالشَّاعر أصم لا يُبالي بما يقولون، ولا يعنيه ما يرددونه من كلام.

وقوله:" فإنَّي أصم" كناية عن عدم مبالاته بالآخرين وعدم سماعه ما يقولون، وقد جعل الشَّاعر الصمم دأبه وديدنه، وعاون على فهم المعنى التّعبير بالجملة الاسمية التي أفادت معنى التأكيد والثبوت.

وأكد كلامه بأنَّه لا يأبه بكلام هؤلاء العذال بقوله: " فإنَّي أصم" مؤكدًا ذلك بـ "إنَّ واسمية الجملة."

وفي البيت الثامن عشر يقول الشَّاعر: فلو كان الناصح أبا ذر وهو أمة في نصحه، فالمحب أبو جهل عاكف على صنمه لا يبرح.

١٨-وهَبْك أباذرِّ[١] هذا الكلامِ فَهَبْني أبَا جَهل هذا الصَّنمْ.

وفعل الأمر " هَب" المقصود به هنا الالتماس، فهو يلتمس ممن حوله أنْ يتركوا نصح أبي ذر وإخلاصه وتفانيه.

والتّعبير بالكنية في قوله:" أباذر" لإحضاره بعينه في ذهن السَّامع، وتلذذًا بذكره؛ وليثير في النَّفس كل ذكرى طيبة " ويبرز هذا الاسم في الوجود ويخلده في الأذهان وإنْ كان قد طوى من الحياة إلَّا أنَّه مذكور في العقول دائمًا وخالد في الأذهان أبدًا"[٢]، وقد عرف عن سيدنا أبي ذر التعفف والنَّصح والإرشاد، وغيرته على شرع الله.

وذكره لسيدنا أبي ذر لأنَّه " كان رأسًا في الزهد، والصدق والعلم والعمل، قوَّالا للحق، لاتأخذه في الله لومةُ لائم، على حدة فيه" [٣]

واسم الإشارة في قوله: "هذا" لتعظيم الكلام الذي كان ينصح به سيدنا أبي ذر _ ﷺ، وتعريف " الكلام" بـ " أل" العهدية إشارة إلى الكلام الذي كان يتحدث به سيدنا أبو ذر عن العفة والطهر، والنقاء.

وليشعر بالمبادرة إلى المطلوب عبر بـ " الفاء" في قوله:" فهَبني" والتّعبير بالأمر " هَبني" خرج من معناها الحقيقي إلى معنى آخر وهو التمني، فهو يتمنى أنْ يكون عابدًا لهذه المحبوبة، وهذا إنْ دلَّ يدلُ على شدة حبه وتعلقه بهذه المحبوبة.

---

١ وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، مشهور بكنيته، تقدم إسلامه، وتأخرت هجرته، مات سنة اثنتين وثلاثين، الكنى والإسلام للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى :٢٦١هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، النَّاشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السّعودية، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ج١ ص٣٠٨.

٢ علم المعاني د. بسيوني فيود بتصرف، مؤسسة دار المختار، دار المعالم الثقافية، الطَّبعة: الثَّانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص٩٤.

٣ سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة: الثَّالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

والبيت به تشبيه ضمني، حيث شبه الشَّاعر نفسه وحبه وتعلقه بمحبوبته بالعابد لها والراكع لهذا الحب. وهذا التَّصوير يشعر بمدى حبه وتعلقه بهذه المحبوبة وعدم الاستغناء عنها. وذكر الكنية في قوله: " أبا جهل[1]" لإحضاره بعينه باسمه فهو المعروف بعبادة الأصنام، والحفاظ عليها لأنَّها دين آبائه وأجداده.

وقد قابل الشَّاعر بين صورتين صورة أبي ذر العابد الناسك الذي لا يلتفت إلى النِّساء، ولا يأبه بهم، وصورة أبي جهل العابد للأصنام المتعلق بذلك الحب الذي ما تنازل عنه حتى قضى نحبه.

والتّعبير بالكنى في قوله: " أبا ذر وأبا جهل " للمفارقة بين من يضرب به المثل في الصدق، والوفاء، وبين من يضرب به المثل في الكفر، والعناد.

وقد أضفى التَّصريع على البيت موسيقى عذبة هادئة، فقد ختم الشطر الأول بحرف الميم كما ختم به الشطر الثاني.

وقد تعانقت المماثلة مع التَّصريع في البيت لإحداث الطرب والنغم بين الشطرين، وقد أحدثت الموازنة بين الشطرين المساواة بين الكلمات، وتناسقها، وتناسبها.

واسم الإشارة في قوله: " هذا الصنم" للتَّعظيم من شأن الصنم الذي كان يعبده أبو جهل. والتَّعريف بـ " أل" للعهد أي ذلك الصنم المعهود بعبادة أبي جهل، وكأنَّي بالشَّاعر يشير من طرف خفي إلى مدى تعلق الشَّاعر بمحبوبته.

ويتحدث الشَّاعر في البيت التاسع عشر بأنَّ العواذل حواجز عميان لا يبصرون، ولا ينكر ضوء الشمس إلا أعمى، ولا يعرف الحب من حجب عن المحبوب قائلًا:

١٩-وأينَ العواذلُ ممن هَويْت ولو كُنَّ ثَمَّ لأبصرنْ ثَم.

٢٠-أُسِر الغَرامَ ويبدُو علىَّ وما انكتَم الشَّيبُ تحت الكَتَم.

---

١ أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأحد رؤساء قريش ودهاتها في الجاهلية، وأسيادها منذ صغر سنه ، يكنى بأبي الحكم فدعاه المسلمون "أبا جهل" ، فغلب عليه، اشتهر بعناده، وإثارة الناس على النبي حتى قتله معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذبن عزار، واحتز رأسه ابن مسعود ﷺ- في غزوة بدر الكبرى، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النَّصرانية لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ) تحقيق: سالم بن محمد القرني ، النَّاشر: مكتبة العبيكان الرياض، الطَّبعة: الأولى ١٤١٩هـ ، ج٢ ص ٥٤٥.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن العواذل مستفهمًا عن ذلك بقوله:" وأين العواذل ممن هويت؟" متعجبًا عن حالهم ويتساءل: أين هم ممن أهوى وأحب؟، هل رأوها حتى يتسنى لهم الحديث عني ويلوموني فيمن أحب؟ واستهل الشَّاعر بيته بالاستفهام لما يتميز به من لفت الانتباه، وإثارة العقول إلى ما يثيره من سؤال فتذهب النَّفس في تفسيره كل مذهب.

والتّعبير بصيغة الجمع وتعريفها بـ " أل الجنسية " في قوله:" العواذل " يشعر بأنَّه لم يكن عذولًا واحدًا، وإنَّما كانوا كُثرًا ممن لاموه في حبها وعشقها.

واسم الموصول في قوله: " ممن هَويت" خفي تحته اسم المحبوبة؛ خوفًا عليها من أنْ يعرف اسمها وتنزيهًا عن كل ما يشينها؛ وتعظيمًا لتلك المحبوبة التي يهواها الشَّاعر.

فاسم الموصول لإبهامه يحتاج إلى جملة الصلة حتى تزيل ذلك الإبهام .

وآثر الشاعر التّعبير بلفظ " هويت " دون " أحببت" و "غيرها" وذلك لأنَّ " الهوى لطف محل الشَّيء من النَّفس مع الميل إليه بما لا ينبغي ولذلك غلب على الهوى صفة الذم"[1]

وعبر بـ " لو" لعزة المتمنى وندرة حصوله، حيث يتمنى الشَّاعر أنْ لو أبصر هؤلاء العذال جمال المحبوبة ما استطاعوا الحديث عنهم، ولكنهم عُمي لا يُبصرون، فقد أبرزه في صورة الممنوع، وآثر ذلك التّعبير رغبة منه في إظهار تألمه لهؤلاء العواذل الذين يلومونه في حب هذه المحبوبة.

وفي الشطر الثاني يظهر الاحتباك، حيث حذف من كل جملة ما يدل عليه الكلام أي لو كن ثم رأين المحبوبة لأبصرن الجمال الذي لامه الآخرون فيه.

وبين "ثَمَّ" و "ثَمْ" جناس أضفى على البيت موسيقى داخلية ذات جرس له تأثيره في النَّفس أسهمت في ترسيخ الصُّورة التي أراد التّعبير عنها فضلًا عن إحداث تماسك بين الكلام.

وفي البيت العشرين يتحدث الشَّاعر عن أنَّه أسر الغرام والحب، ولكنَّه يظهر عليه الحب كما يظهر الشيب بعد إخضابه بالحناء قائلًا:

---

١ الفروق اللغوية ص ٥٦٢.

٢٠-أُسِرُّ الغرامَ ويَبدُو علي ومَا انكَتَم الشَّيب تَحْتَ الكَتَم[١].

التّعبير بقوله:" أسِرُّ الغرامَ" يشعر عن إخفائه وعدم ظهوره وبدوه، ويشعر بمدى كتمان الحب لمحبوبته فهو لا يريد إظهاره وإعلام أي شخص به، ورغم ذلك يظهر ويفضحه حبه.

وبين " أُسِرُّ" و" يبدو" طباق أوضح المعنى وأبرزه، حيث وضح أنَّه بينما هو يسر في نفسه الحب ويخفيه إذا الغرام والحب يظهر عليه ويفضح أمره، ويكشف ويبدي ما أسره وكتمه تجاه هذه المحبوبة، وهي معنى لطالما تناوله الشعراء القدماء كما قال ابن زيدون:

يخفي لواعجه والشوق يعظمه فقد تساوى لديه السر والعلن.

وبلاغة الطِّباق تكمن في وضوح المعنى وإبرزه مما يزيد الكلام جمالا " بالضد تتمايز الأشياء وتتبين ويعم بجانب ذلك وضوح المعنى وترابط الأسلوب وتلاحمه واكتساؤه"[٢]

والتّعبير بالفعل المضارع في قوله:" يبدو" لاستحضار صورة الحب والغرام الذي طالما حاول كتمانه، وخفقات قلبه تظهر عليه، ولا يستطيع إخفاءه أو كتمانه. ووصل بين جملة " ويبدو علي" وبين جملة " أُسِر الغرام" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، فبينما يسُّر الغرام إذا بمشاعره وإحساسه تبدو وتفضح أمره، فليست لديه القدرة على إخفائها.

وقد أحسن الشَّاعر في اختياره للفظ " الغرام" وجاءت في موقعها المناسب التي لو اختيرت لفظة أخرى مكانها لما أدت معناها، وفي ذلك يقول الخطابي: " إنَّ عمود البلاغة في وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه

---

١ كتم: الكتمان: نقيض الإعلان، كتم الشيء يكتمه كتما وكتمانا واكتمه وكتمه السان ج١٢ ص ٥٠٦، والكتم بالتحريك نبات يخلط مع الوسمة للخضاب الأسود، الكتم نبت فيه حمرة، ج١٢ ص٥٠٦.

٢ دراسات منهجية في علم البديع، د الشحات محمد أبو ستيت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ص ٥١، ٥٢.

الأخص الأشكل بـه، الذي إذا أبدل مكانـه غيره جـاء منـه: إمَّا بتبدل المعنـى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[1]

وقولـه:" ومـا انكتم الشَّيب تحت الكَتَم " كنايـة عن أنَّ الشيب لا يُكتم مهمـا خُضّب بالحناء.

وفي البيت تشبيه ضمني؛ حيث شبه إخفاءه للغرام على الرغم من ظهوره عليه كما يظهر الشَّيب رغم خضابه بالحناء. فيفضحه ويفشي سره، لأنَّه لا يستطيع إخفاءه مهما حاول كما لا يستطيع إخفاء الشيب مهما حاول الإنسان إخفاءه.

وهذا التَّصوير، يشعر بأنَّ الشَّاعر مهمَّا حاول إخفاء الحب وإنْ حاول كتمه فهو يفضحه ويكشف ما أراد أن يخفيه بظهوره عليه. وبين "انكتم " و" الكَتَم" جناس شبه اشتقاق، وقد تعانق مع رد الأعجاز على الصدور في إضفاء الموسيقى العذبة على البيت، وما ذاك إلا لأنَّ المعنى هو الذي استدعاه وطلبه مما أضفى على الأسلوب حلاوة وحسنًا، فجاء مطبوعًا غير متكلفً ولا مصنوعً.

وهذا المحسن له دور في إبراز المعنى بما يحمله من الموسيقى العذبة، فضلًا عن التِّكرار الذي يقوى به الجرس " فاللفظ المكرر مصباح منير يسلط ضوءه على الصُّورة لاتصاله الوثيق بالوجدان فالمنشئ يكرر ما أثار عنايته وأراد نقل إحساسه إلى الآخرين"[2]

ثم يتمادى في هذا الشطط، فالمحبوب لديه من التماهي والإيغال حد الوله والتتيم، فقد بلغ العشق مبلغه عند الشَّاعر فمنذ عرف الحب ضاع عقله، وصار الألم مستطابًا لديه.

٢١-على أنَّني مُذ عرفتُ الهَوى[3] جَهلتُ النُّهى[4] واستطبتُ الألَم.

وأكد الشَّاعر كلامه بـ " أن واسمية الجملة" وما بعدها على أنَّه قد تاه وهام على وجهه وأصبح فاقدًا لعقله، وعاون على فهم المعنى صيغة الماضي "عرف"

---

١ بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الخطابي الرُّماني عبدالقاهر الجرجاني) طـ دار المعارف ص٣٩.

٢ التكرير بين المثير والتأثير لعز الدين السيد، ط: الثَّانية، دار الكتب المصرية ١٩٨٦م ص١٣٦.

٣ الهوى، العشق يكون في مداخل الخير والشر اللسان ج١٥ ص ٣٧٢، وابن سيدة.

٤ النهى، العقل، يكون واحدا وجمعا، اللسان ج١٥ ص ٣٤٦.

وقوله: "مذ" يُشعر بأنَّه منذ عرف الهوى والعشق لم يعرف الراحة ولم يستطب إلَّا الألم. والتّعبير بقوله: " عرفت الهوى " يشعر بأنَّه قد تمكن هذا الهوى من قلبه وتغلغل فيه.

وفصل بين جملة " جهلت النُّهى " و" جملة " عرفت الهوى"، لشبه كمال الاتصال، حيث أثارت الجملة الأولى سؤالًا فكانت الثَّانية جوابًا عنها، وتقدير السؤال: ماذا حدث لك بعد أن عرفت الهوى؟، فكان الجواب: "جهلت النهى" و "استطبت الألم"، وإتيان الشَّاعر بهذه الجملة التي أثارت سؤالًا فكانت الثَّانية جوابًا عنها لما يثير في نفس المتلقي إلى معرفة الجواب فتكون متشوقة متلهفة إلى معرفة الجواب.

وترجع بلاغة هذا الأسلوب إلى ما يفيده من إثارة المخاطب وتحريك ذهنه، فهذا السؤال المنبعث من الجملة الأولى، قد انبعث في ذهن المخاطب وفي ذهن المتكلم الذي أدرك أنَّ الجملة ينبعث منها هذا السؤال، وأنَّ المخاطب ينتظر جوابًا له وبيانًا، فعندما يأتي البيان ويرد الجواب يقع في النَّفس أحسن موقع وأفضله."[1]

وقوله: جهلت النهى" تصوير بالكناية حيث كنَّى الشَّاعر عن فقدان عقله بسبب حبه لها. وهذا التَّصوير يشعر بفقدان الشَّاعر عقله الذي يمنحه التَّفكير والتَّأمل في كل ما حوله.

فقد كان للكناية أثرها الكبير في الإفصاح عن مكنون عواطفه وأحاسيسه والوصول إلى غايته ومشاعره وخواطره التي تجيش بصدره، فالاستعارة التي اتكأ عليها الشَّاعر حققت الإيجاز، وأدت المعنى الكثير بألفاظ قليلة فـ " هذا التّعبير تأكيد للمعنى، وإلباسه ثوب المبالغة مع إبرازه في صورة محسوسة، ثم التّعبير عنه بألفاظ موجزة"[2]

ووصل بين جملة " جهلت النُّهى" وجملة " واستطبتُ الألم " لما بينهما من التوسط بين الكمالين، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، فعندما عرف الشَّاعر الهوى والحب جهل النُّهى واستطاب الألم، وذلك لما فيه من إيضاح التَّناسب بين الجمل.

---

١ علم المعاني د. بسيوني فيود بتصرف، مؤسسة دار المختار، دار المعالم الثقافية، الطَّبعة: الثَّانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ج٢ ص ١٦٤.

٢ القرآن والصُّورة البيانية د. عبد القادر حسين، النَّاشر: عالم الكتب، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ص٢٠٠.

وعبر بـ " النُّهى " دون غيرها وذلك "، لأن النُّهى هو النهاية في المعارف التي لا يحتاج إليها في مفارقة "[1]

" وسمي العقل نهية لأنَّه ينتهي إلى ما أمر به ولا يعدي أمره."[2]

وقوله:" واستطبت الألم" كناية عن استعذاب الشَّاعر الألم الذي يصيب الإنسان بالوجع والألم، حتى صار شيئًا مستطابًا لديه، والتّعبير يدل على مدى عشقه وحبه الذي انتابه تجاه المحبوبة.

وبلاغة الكناية تكمن في تحسين المعنى؛ لأنَّها تنقل ما في النَّفس من أحاسيس وذلك لأنَّ الكناية " من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده تعبيرا موجزًا هادفًا لطيفًا، يخفي وراء ظلاله أهدافًا ولطائف يريدها ويقصدها"[3]

وعبر بـ " الألم " دون " الوجع " وغيره؛ وذلك لأنَّ الألم كل ما يلحقه بك غيرك، والوجع ما يلحقك من قبل نفسك ومن قبل غيرك ثم استعمل أحدهما في موضع الآخر."[4]

وبين " عرفت " و " جهلت " طباق أوضح المعنى وأبرزه وأظهر الهوة البعيدة والمفارقة الشديدة بين المعرفة والجهل.

ويخبرنا الشَّاعر بأنَّه قد باع النوم والنُّعاس مستبدلًا مكانهما السهر والسُّهاد، ولم يذق طعم النوم منذ ملك هذا الحب الواله قلبه.

٢٢-وبِعتُ الكَرَى واشتريتُ السُّهادَ فما ذُقتُ طَعم الكَرَى منذ كَم.[5]

---

١ الفروق اللغوية ص ٥٥٢.

٢ اللسان ج١٥ ص ٣٤٦.

٣ من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، للدكتور حمزة الدمرداش زغلول، النَّاشر: المطبعة الإسلامية الحديثة، الطَّبعة: الأولى، ١٩٨٨م، ص ٦.

٤ الفروق ص ٣٥٤.

٥ السهد الكثير السهاد يقال رجل سهد وعين سهد وامرأة سهد ويقال فلان سهد يقظ حذر، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار، النَّاشر: دار ال دعوةج١ص٤٥٨.

ويأتي التَّصوير في قوله:" بعتُ الكَرَى "، حيث شبه الشَّاعر الكرى وهو النُّعاس بشيء يُباع، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يوحي بعدم مقدرة الشَّاعر على النوم، وأنَّ الحب قد امتلكه وسيطر عليه، فلا يستطيع إغماض عينه؛ فقد استطاع الشَّاعر أنْ يهيم بخياله الواسع في رسم تلك الصُّورة التي تبدو وكأنَّها شيء حقيقي.

ووصل بين جملة " واشتريت السُّهاد" وجملة " بعتُ الكرى" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، وليصف الحالة التي كان عليها الشَّاعر من أنَّه قد هان عليه النوم والراحة، وصار الأرق والقلق مضجعه.

هذا وقد كان للوصل بين الجمل والتَّناسب والترابط بينهما بحرف العطف " الواو" الأثر القوي، وذلك لأنَّ التَّناسب يزيد الوصل حسنًا وجمالًا وبهاء وفي ذلك يقول عبد القاهر: " فإنَّ من شأن التَّناسب أن يزيد الوصل حسنًا ويضفي عليه جمالًا وبهاء"[1]

وهذا التَّصوير، يشعر بأنَّ الشَّاعر قد استغنى عن النوم، وجعل السهر والسُّهاد والتَّفكير في المحبوبة لا يفارقه فقد أرق عليه مضجعه، فقد نقل الشَّاعر تلك الصُّورة في صورة حسية معاينة وكأنَّ السهاد شيءيُباع ويُشترى وكأنَّي بالشَّاعر وقد أراد أنْ يشارك المتلقي إحساسه وعاطفته الصادقة التي منعته النوم، وقد عكست الصُّورة البيانية هذه العاطفة الجياشة التي يحياها.

فجمال الاستعارة يجعل السامع يشعر بالمعنى ويحسه، وذلك بنقلها الأشياء المعنوية في صورة حسية تظهر أمام الرائي.

---

١ الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب بيروت ٢٠٠٢م -١٤٢٤هـ ج٣ ص،١٤٠التَّصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، أ.د علي علي صبح، النَّاشر: المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ، ص ١٠٣.

وتتعانق الاستعارة الثَّانية مع الاستعارة الأولى في قوله: " واشتريت السُّهاد"، حيث شبه السُّهاد وهو السهر بشيء يُشتري، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وتتضح المقابلة البديعة بين "بعتُ الكَرى" و" اشتريتُ السُّهاد" وقد أوفت المقابلة في أداء المعنى المراد فبينما استغنى عن النوم الذي به الراحة، فإذا به قد استبدله بالسهر، وكأنَّي بالشَّاعر وقد جعل السهر والسُّهاد مضجعًا ومكانًا ومستقرًا له.

"وإنَّ للتقسيمات الثنائية بين السلبية والإيجابية ما يظهر جماليات التضاد والتقابل؛ إذ الوجود كله تقابل وطباق، فكل نسق يقف قباله نسقآخر، تضادًا وتشاكلًا لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة"[1]

والتّعبير بقوله:" فما ذقت طعم الكرى " كناية عن عدم تمكن عينيه من النوم نتيجة العشق والغرام الذي حل بالشَّاعر منذ عرف الحب، وذاق ألمه ولذته.

وإضافة" طعم" إلى " الكَرى" في قوله:" طعم الكَرَى" تشعر وكأنَّ الشَّاعر قد حرم من النوم البتة فلم يستطع الجفن الإغماض، فقد باعد العشق بينه وبين والراحة.

وفي قوله:" ذاق طعم الكَرَى" شبه الكرى بشيء له مذاق، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو" ذقت" على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يشعر بقلق الشَّاعر واضطرابه وأنَّه ما عاد يعرف للجفن إغماضًا وأنَّ الحب قد أرق مضجعه، فلم يستطع الراحة، وفيه تجسيد للمعنويات في صورة حسية مرئية، والتشخيص الذي لجأ إليه الشَّاعر فيه إثارة انتباه المتلقي، وتحريك مشاعره وإيقاظ وجدانه.

وفي البيت الثالث والعشرين يذكر الشَّاعر أنَّ هناك أربعة أشياء لا تفترق فالحب نار، وجمر، مهما خبا نوره فناره متقدة في الفؤاد، الهوى والجوى والحياة والهم.

٢٣-وأربعةٌ قطُّ لم تَفترِق هَوى، وجوى[2] وحَيَاة وهَم.

---

١ التقابل الجمالي في النَّص القرآني دراسة فكرية وأسلوبية، لحسن جمعة، ٢٠٠٦م، دمشق، دار التميز ص ١٥٤.

٢ جوى: الجوى: داء القلب، مجمل اللغة لأبي الحسين أحمدبن فارس، (المتوفى: ٣٩٥) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النَّشر: مؤسسة الرِّسالة-بيروت، الطَّبعة: الثَّانية_ ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ص٢٠١.

وبدأت الجملة بأسلوب خبري يتسم بالتشويق، فقد ذكر كلمة" أربعة " وحينما بدأ بها وقدمها المتكلم استدعت المتلقي أن يتشوق إلى ما سيأتي بعدها فلما جاء المسند إليه اطمأنت نفسه وسكنت.

والتّعبير بكلمة " قط"، مع الفعل المضارع المسبوق بلم الجزم في قوله: لم تفترق يشعر بأنَّ هذه الأشياء تلزم الإنسان ولا تفارقه.

وقد ذكر هذه الأشياء على سبيل الإجمال في قوله:" أربعة" ثم أخذ يفصلها على سبيل التفصيل ويوضحها ، وهي الهوى والجوى والحياة والهم، فهي من باب ذكر الخاص بعد العام، " ليتمكن في النَّفس فضل تمكن فإنَّ المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام، تشوقت نفس السَّامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم، أو لتكمل اللذة بالعلم به، فإنَّ الشَّيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النَّفس إلى العلم بالمجهول؛ فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه"[1]

وتنكير كل من " الهوى، والجوى والحياة والهم " في قوله: "هوى وجوى وحياة وهم" لعظم هذه الأشياء في حياة الإنسان، ولكونها ملازمة له، وكأنَّ نارَ الحب جمرٌ تستعر وتشتعل، فالحب نار وجمر مهما خبا نوره فناره مشتعلة في الفؤاد.

ووصل بينها بحرف العطف " الواو"؛ لأنَّه أراد المشاركة بين هذه الأشياء، ولهذا التَّناسب والترابط الوثيق بين الجمل حسن الوصل والترابط بينها بحرف العطف.

وفي البيت الرابع والعشرين يطلب منا ألَّا نتعجب من حياة الهموم؛ لأنَّها ظهرت بموت العزم الصادق، والإرادة النافذة.

٢٤-ولا تَعجَبَن لِحَياةِ الهُمُومِ حَياةُ الهُمومِ بمَوتِ الهِمَمْ.

---

١ الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، النَّاشر: دار الجيل – بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ج ٣، ص ١٩٦.

وآثر الشَّاعر أسلوب النهي، حيث إنَّه يفيد الكف عن الفعل، ويقطع الأمل في حصوله بأي شيء من الأشكال، يقويه تعبير الشَّاعر عن المنهي عنه، وواصل الشَّاعر حديثه بصيغة النهي في قوله:" ولا تعجبن" محذرًا إياها من ألا تتعجب من حال الحياة فإنَّها مليئة بالهموم التي لا تخلو منها.

جاء النفي بـ " لا " دون غيرها من أدوات النفي كـ " لن " أو " لم" في قوله:" لا تحفلن" وذلك لأنَّ " لا" أشمل في النفي " وتأمل حرف "لا" كيف تجدها " لا" بعدها ألف " يمتد بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النَّفس فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، ولن يعكس ذلك أبدا"[1]

وإضافة " حياة" إلى " الهموم" توحي بكثرة الهموم وأثرها على الشَّاعر، وأنَّه يحمل بين طياته أعباء كثيرة أثقلت كاهله، وجمعها يشعر بكثرة الهموم وتنوعها. وقد كرر الشَّاعر قوله:" حياة الهموم "؛ وذلك لأنَّ في إعادة الكلمة بعينها جذب لانتباه السَّامع وتأكيد المعنى في ذهنه مما يلفت ذهن المتلقي فضلًا عن أنَّ الكلمة الثَّانية فيها زيادة تأكيد وتوضيح، فقد أعيدت مرتين وبإعادتها ترسخ في ذهن السَّامع.

فقد لجأ الشَّاعر إلى تكرار الألفاظ حيث شكل نغمًا موسيقيًا " ولا تقتصر إفادة التِكرار في سياق الكلام على تقوية النغم فحسب، بل تساعد أيضًا على الفهم الواسع لموضوع القصيدة من خلال تركيز الشَّاعر على لفظة أو عبارة أو حرف في قصيدته، إذ ألحت عليه وأثرت في عاطفته فكررها لكي يروح عن نفسه مما هي عليه. [2]

وفصل بين جملة " حياة الهموم" وبين جملة " ولاتعجبن لحياة الهموم " لشبه كمال الاتصال، لأنَّ الجملة الأولى أثارت سؤالا تقديره: " ما هي حياة الهموم؟ فقيل حياة الهموم بموت الهمم. ثم فسر حياة الهموم بكونها بموت العزيمة والإرادة الصادقة، فإذا ماتت الهمم فقدت الحياة قيمتها.

---

١ بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ج١، ص ٩٥، ٩٦.

٢ جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنَّقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م.

وعبر بـ " الهمم" دون "الإرادة" أو العزائم"، وذلك لأنَّ " الهم آخر العزيمة عند موافقة الفعل، وقيل الهم تعلق الخاطر بشيء له قدرة في الشدة والمهمات الشدائد"[1]

وإضافة " موت " إلى " الهمم" تشعر بأنَّ الحياة المليئة بالهموم تثبط الهمم والعزائم. والتّعبير بقوله:"موت الهمم" كناية عن تثبيط الهمم وبموت هذه الهمم تُملأ الحياة بالهموم والغم والكآبة.

ويأتي الطِّباق بين "الحياة" و" الموت " ليوضح الفرق الشديد والهوة البعيدة بينهما ويتعانق مع الطِّباق الجناس بين " الهموم " و " الهمم" التي أضفت على البيت نغمًا موسيقيًا.

وفي البيت الخامس والعشرين يقول الشَّاعر: ويوم أصبح امتناع الحبيب ضعيفًا، قال الناس عنه بأنَّه سطع نوره، لكنَّه حقيقة هو في غاية السواد القاتم.

٢٥-ويومٍ كليلةِ صَدِّ الحبيبِ يُقال أَضَاءَ وقلتُ ادْلَهَمْ.[2]

وحذف رب هنا للتحقير من شأن هذا اليوم الذي يعاني منه الشَّاعر ويصفه بأنَّه كليلة صد الحبيب وحين يقول الناس له أضاء وهو يقول ادلهم.

وتنكير " يوم" يشعر بسواد هذا اليوم وطوله، وأنَّه لا ينتهي.

وهنا شبه اليوم بصد الحبيب وامتناعه، وهذا التَّصوير يوحي بصده وامتناعه حين تهيأ للشَّاعر بأنَّ امتناعه صار أمرًا ضعيفًا، ولكن الأمر على خلاف ذلك، فهو ما يرى منها غير البعد والجفاء. وإضافة " صد " إلى " الحبيب" يشعر ببعد الحبيب وجفائه.

وفي بناء الفعل " يُقال" للمجهول ما يدل على أنَّ من قال بهذا الكلام لديهم الأمل في هذا اليوم.

ويلاحظ فصل جملة القول في قوله:" يقال " وبين ما بعدها؛ وذلك لأنَّ الجملة الثَّانية وقعت جوابًا لسؤال أثارته الجملة الأولى، وهي جملة القول، والتقدير: فماذا قال؟ فكان الجواب: " أضاء" (شبه كمال اتصال" يقول الإمام عبد القاهر:" إنَّ هذا ما تراه

---

١ الفروق ص ٥٥٩.

٢ دلهم: المدلهم: الأسود، وادلهم الليل والظلام: كثف واسود، وليلة مدلهمة أي مظلمة واسود مدلهم: مبالغ فيه، اللسان ج١٢ ص ٢٠٦.

في التنزيل من لفظ " قال" مفصولًا غير معطوف هذا هو التقدير فيه، وأنَّه جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلمَّا كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان كذا، أنْ يقول: فماذا قال؟ ويقول المجيب: قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج؛ لأنَّ الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه"[1]

وبين قوله:" يقال أضاء " وبين جملة " وقلت ادلهم" مقابلة أدت المعنى خير أداء، فبينما يقول الناس أضاء وظهر وانكشف يقول هو ادلَهمَّ واشتَّد سواده، ولذلك عقد الشَّاعر مقارنة بين المعنيين، فالتضاد بين الجملتين يرسخ المعنى ويزيده وضوحًا، مما يربط بين أجزاء الكلام بعضها ببعض، فالضد يظهر حسنه الضد، فقد جمعت المقابلة بين الأمور المتضادة، وأحدثت ائتلاف بينهما وفي ذلك يقول الدكتور محمد شرشر:" المقابلة لها من الأثر في بلاغة الكلام لما لها من أثر جليل في تثبيت المعنى وتقويته، وهي تضفي على القول رونقًا وبهجة وتقوي الصلة بين الألفاظ ، والمعاني"[2]

ووصل بين قوله:" يقال أضاء" وقوله:" وقلت ادلهم" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، حيث يقارن بين حالين حال قول الناس عن هذه الليلة بأنَّها ليلة قمراء وبين قول الشَّاعر قد أظلم وادلهم.

وفصل بين جملة " قلت" وقوله:" ادلهم" لأنَّ الجملة الأولى أثارت سؤالًا وكان التقدير فماذا قال؟ فكان الجواب: " ادلهم" وهذا الفصل لشبه كمال اتصال بعد جملة القول كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني.

المقطع الرابع: في فضائل القاضي الفاضل.

٢٦-أرَى البَرقَ في خدِّه كالشُّحوبِ والشَّمسَ فِي وجْههِ كالغَمَمْ

٢٧-ومَا اسوَدَّ إلا لأنِّي به قَبَرتُ العُلَا ودفَنتُ الكَرمْ

٢٨-ولَكنْ أُعيدَ بعبد الرحيمِ وما زال بالجُود مُحي الرّمَمْ

٢٩-ولَولَاه كُنتُ نَبَذتُ الدواة ولَولَاه كُنتُ كَسَرتُ القَلَمْ

---

١ الدلائل ص ٢٤٠.

٢ اللباب البديع بتصرف أ. د / محمد حسن شرشر، ط، الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ص ٥٤.

٣٠-ولَـــولَا فَريضَـــةُ مَـــدْحِي لـــه ... لَقُلـتُ بكـم يُشـتَري لـي بكـمْ
٣١-وعَـزَّ علـى العُـرْبِ أنَّـي حَفِظـتُ ... بِرَغمِـي بعـضَ لُغَـاتِ العَجَـمْ
٣٢-كَمَـا مَجمَـجَ الـدهرُ بـي نَاطِقًـا ... كـأنَّي حَـرفٌ بـه مُـدَّغَمْ
٣٣-رَضِـيتُ رَضِـيتُ بـأدنى الحَضـيضِ ... وخلَّيـتُ خلَّيـتُ أعْلـى القِمَـمْ
٣٤-فَمَـا أنَـا مِـنْ أهـلْ ذاكَ المقـامِ ... ولا أنَـا مِـنِ رَقْـمِ ذَاكَ القَلَـمْ
٣٥-ومـا ضـيَّع اللهُ آلَ الحسَـيْن ... إذا رَفَـع الـدَّهرُ آلَ الحَكَـمْ
٣٦-ومـا يُبعـدُ الـدهرُ لـي مَطلبًـا ... وعبـدُ الـرحيم فِـدَاهُ أُمَـمْ
٣٧-بـه سـوف أدخـلُ دارَ السـلامِ ... ويُلقـي الزمـانُ إلـى السَّـلمْ
٣٨-يَقـولُ لِـدهرِي أَسـكُن حِـرَا ... فَقَـالَ لـي الـدهرُ أُسـكُن حَـرَمْ
٣٩-لقـد شـملَ الخلـقَ إنعامُـه ... فهـم فـي النعيمِ وهـم فـي الـنِّعمْ
٤٠-يسـابقُ سُـؤَّالهُ بالعَطَـا ... فَـلا لا يُقـالُ كَمَـا لا نَعَـمْ
٤١-فمَـنْ ذَا الـذي بِعَطَايـاهُ مـا ... ومَـنْ ذا الـذي بأياديـهِ لَـمْ
٤٢-وإنَّ الملـوكّ بـه كالعَبيـدِ ... وإنَّ الأُسُـودَ بـه كـالغَنَمْ
٤٣-تَجِـئ الملـوكُ إلـى بابِـه ... إذَا اختصِـموا ليَكـونَ الحَكَـمْ
٤٤-فيفصـلُ مُشـكِلَهم بالبَيـانِ ... ويَحكُـم بيـنهُم بـالحِكَمْ
٤٥-يَـرَونَ مَودَّتـه قُربَـةٌ ... وطَاعتَـه فُرصَـةٌ تُغتَـنَمْ
٤٦-ولَا غَـروَ أنَّـك مـولَى الأنـام ... وأثبـتَهم فـي المَعَـالي قَـدَمْ
٤٧-وأنَّـك أوْفَـاهُم بـالعِهُودِ ... وأنَّـك أرْعَـاهُم للـذِّمَمْ
٤٨-فخـارٌ أجـلُّ وطَـولٌ أطـل ... وبَـأسٌ أشـدُّ وعـزمٌ أشَـمْ
٤٩-ودولتُـه رُكْنُهـا قَـائمٌ ... بِـرَغْمِ العَـدوِّ الأعَـمْ
٥٠-يُعَاديـكَ كُـلُّ لئـيمِ الأصُـولِ ... مُبَـاحِ الحَـرِيم مُشـاع الحُـرَمْ
٥١-لَـه خَلـوةٌ كلُّهـا تَنقَضِـي ... برتـقِ الفُتُـوق وسـدِّ الـثُّلمْ
٥٢-ويَحْلـفُ أنَّـي الحَبيـبُ النَّصـيحُ ... ويَكـذبُ – بـل حَاسـدٌ مـتَّهمْ
٥٣-يـنمُّ إليـك وطَـوْرًا عَليْـكَ ... فـتمَّ لـه أمـرُه حِـين نَـمْ
٥٤-يُـرى فـي الخَـلا حَـامِلًا طَاعِنًـا ... ولكِـنْ إذا مَـا رَآكَ انهَـزَمْ

٥٥-وباســـمِكَ قـــد حَـــلَّ فـــوق السَّـــمَا ولَـولاكَ لَـم يَسْـمُ، بَـلْ لَـمْ يُسَـمْ
٥٦-ويَكفُـــــر أنعمَـــــك السَّـــــابِغَاتِ فسَـــوفَ تعُـــودُ عَليـــه نِقَـــمْ
٥٧-ويَمْضـــغُه الـــدَّهرُ مَضْـــغَ الأديـــم ويَعْرُكُـــهُ الـــنحسُ عَـــرْكَ الأدَمْ

وفي البيت السادس والعشرين يقول الشَّاعر: حين النظر إلى وجه الحبيب أرى ذبول النضارة وتحول حالته إلى الضعف الشديد، وأرى أنَّ الشمس مثل الحزن المخيم على محياه.

٢٦-أرى البَرق في خَده كالشحُوب[١] والشمس في وجهه كالغَمَم[٢]

ويأتي التّشبيه في البيت، حيث شبه بريق ولمعان وجه الحبيب بالذبول وعدم النضارة وقد تحول إلى الضعف الشديد، وهذا التَّصوير يشعر بأنَّ وجه المحبوبة رغم جماله ولمعانه وبريقه فإنَّه صار شاحبًا خافتًا وتحول إلى الذبول وعدم النضارة.

وقد حذف الفعل في قوله:" والشَّمسُ في وجهه كالغَمَم " والتقدير: وأرى الشمس في وجهه كالغم لدلالة الأول عليه.

ويتعانق التّشبيه الثاني مع الأول في قوله:" والشمس في وجهه كالغمم"، حيث شبه وجهها الذي يشبه الشمس بالغمام وكأنَّ سحابة من الغمام تخيم على محياه، فالصُّورة البيانية كشفت وأكدت على قدرة الشَّاعر الفائقة من سيطرته على الألفاظ وجعلها طيعة له.

والتَّصوير يوحي بأنَّ الحزن يُخيم على محياها البهي، وتكمن روعة التّشبيه في أنَّه:" يستمد قوته من الخيال، فكما أنَّ الرسم والتَّصوير يعتمدان على الأصباغ والأحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة، أو فتنة ساحرة، أو عبقرية نادرة، نجد

---

١ من غم الشيء إذا غطاه وجبهة غماء، ورجل أغم، وما أقبح الغمم، وهم يحبون النزع ويكرهون الغمم، أساس البلاغة لأبي القاسم محمودبن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: محمد باسل عيون السود، النَّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان – الطَّبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢ الشحوب: شحب: يشحب لون الرجل شحوبا إذا تغير من هزال أو عمل أوسفر، تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري المروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، النَّاشر: دار إحياء التُّراث العربي–بيروت، الطَّبعة: الأولى ٢٠٠١م ج٤ ص ١١٤.

أنَّ التّشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة والتّعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار"[1]

ويلاحظ التَّناسب بين الجمل في قوله: والشمس في وجهه كالغمم " وقوله:" أرى البرق في خده كالشحوب" لما بينهما من المناسبة " وهذه المناسبة بين الجمل ضرورية لصحة نسق الكلام وتلاوته، وكلما كان الامتزاج بين الجملتين أشد تلاؤمًا، كانت الواو أكثر تمكنًا وأحكم إصابة" [2]

وبين الشطرين مماثلة أضفت على البيت موسيقى عذبة رقيقة تجذب إليها الأذن ويشغف بها الوجدان.

–وفي البيت السابع والعشرين يخبرنا الشَّاعر بأنَّه يعتم وجه الحبيب ويسود حينما تندثر ألوان الشرف والشهامة والمروءة.

٢٧–وما اسودَّ إلا لأنَّي به قَبرت[3] العُلا ودفنت[4] الكَرمْ

ثم أخذ يوضح كيف اسودَّ هذا الوجه وعبس ولم يعط للشَّاعر أي أمل.

ويأتي القصر في البيت، حيث قصر اسوداد وجه الحبيب على اندثار الشرف والشهامة والمروءة، قصر صفة على موصوف وطريق القصر النفي والاستثناء وفي قوله:" قبرت العلا "، حيث شبه العلا بشيء يُقبر، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

---

١ البيان في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين ١٤١٨هـ –١٩٩٨م دار الفكر العربي، ص ١٠٦.

٢ دلالات التراكيب دراسة بلاغية أ.د محمد محمد أبو موسى، النَّاشر: مكتبة وهبة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ص ٢٨٥.

٣ قبر فلان أي: دفن في القبر، الإبانة في اللغة العربية لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ،تحقيق د. عبد الكريم خليفة – د. نصرت عبد الرحمن – د. صلاح جرار_ د. محمد حسن عواد _ د. جاسر أبو صفية، النَّاشر: وزراة التُّراث القومي والثَّقافة – مسقط_ سلطنة عمان، الطَّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤ دفن الشخص دفن الشيء: ستره ووراه في التراب، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ بمساعدة فريق عمل، النَّاشر: عالم الكتب، الطَّبعة: الأولى ١٣٢٩هـ ٢٠٠٨م، ج١ ص٧٥٦.

وهذا التَّصوير يشعر بيأسه وقلة حيلته، فقد دفن كل شيء حاول الوصول إليه وارتقى به، ولكن ما كان من الشَّاعر إلا أنَّه لم يصل إلى ما يتمنى، فقد تمكن الشَّاعر من خلال تلك الأحاسيس أنَّ يحيل تلك الصُّورة المجردة إلى صورة مجسدة تبث فيها الروح مما يثير الانتباه ويحرك الذهن ليكشف عن تلك الحالة التي ألمت به.

وقد آثر الشَّاعر التّعبير بالاستعارة دون التّشبيه " وذلك لما يتحقق في الاستعارة من تفاعل وتداخل في الدلالة على نحو لا يحدث بنفس الثراء في التّشبيه، ولما يظهر من قدرة الاستعارة على إدخال عدد كبير من العناصر المتنوعة داخل نسيج التجربة"[1]

ووصل بين قوله: " قبرت العلا" و " دفنت الكرم " لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، فبينما تعتم وجه الحبيب اندثر معه كل معاني الشرف والعزة والكرم.

وبين " القبر" و "الدفن" مراعاة نظير، وتكمن بلاغة هذا المحسن بما يحققه من التوكيد والإطناب فضلًا عن ائتلاف الألفاظ وسلاسة الأسلوب وسهولته، وهذا يدل دلالة واضحة على عناية الشَّاعر بترتيب معانيه وسعة ألفاظه بتكرارها وإفادتها التوكيد.

ويأتي التَّصوير الثاني في قوله:" ودفنت الكرم"، حيث شبه الكرم بشيء يُدفن، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يشعر بأنَّه وصل به الحال إلى أنَّه فقد الأمل في كل ما حوله حيث لا يجد ما يستحق أن يعطيه ويضحي من أجله، فقد رسم الشَّاعر بصورته الاستعارية هذه الأشياء الذهنية إلى صورة حية ناطقة أراد من خلالها أنْ يشارك المتلقي مخيلته، وما قد ألم به، فجاءت ألفاظه متناسقة مؤثرة.

وفي البيت الثامن والعشرين يقول الشَّاعر: بأنَّ حال الشَّاعر قد استحالت من الذبول إلى النضارة، ومازال ذا أياد بيضاء علينا، ويبالغ في إكرامنا؛ وذلك لأنَّ

---

١ الصبغ البديعي د. أحمد موسى، النَّاشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٣٨٨هـ –١٩٦٩م، ص ٤٩٧.

القاضي الفاضل قد أعاد إليه كل شيء فبجوده وكرمه أحيا كل من لا يتأتى منه الحياة.

٢٨-ولكنْ أُعيدَ بعبدِ الرحيم ومَا زَالَ بالجُود مُحي الرِّمم[١]

وعبَّر بالفعل المبني للمجهول في قوله:" أُعيد " لضيق المقام، حيث أن الشاعر في مقام الشعر، وللعلم بالفاعل.

والتَّعريف بالعلم " عبد الرحيم" لإحضاره بعينه في ذهن السَّامع ابتداء باسمه المختص به.

ووصل بين جملة "وما زال بالجود محي الرمم" وبين جملة " أعيد بعبد الرحيم " للتناسب بين الجمل، وذلك لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى. والتّعبير بـ " ومازال " يشعر بالتجدد والاستمرار.

وفي التّعبير بقوله:" محي الرمم" مبالغة في الكرم، ولكن الشَّاعر قد بالغ حتى وصل به الغلو مبلغه بأنْ جعل الممدوح كأنَّه يحي العظام البالية بجوده وكرمه، وأعد هذا تطاولا على الحق سبحانه وتعالى بأن جعل معه شريكًا يشاركه في إحياء العظام، وهذا من الغلو المردود، وعاون على فهم هذا المعنى التّعبير بالفعل" ما زال" الذي يدل على استمرارية العطاء والبذل والسخاء، وكذلك اسم الفاعل في قوله: " محيّ" الذي يدل على الاستمرار.

وفي البيت التاسع والعشرين يتحدث الشَّاعر بأنَّه لولا الممدوح ما كان يومًا عشق الكتابة ولا الشِّعر، فهو من دفعني دفعًا نحو جميل القول في الكلام.

٢٩-ولَوَلَّاه كُنتُ نبذْتُ الدواةَ ولوَلَّاه كنتُ كسرتُ القلَمْ.

وعبَّر بـ " لولا" لاستحالة وقوع المتمنى وأنَّه لولا وجود الممدوح ما عشق الكتابة وآثر التعبير بـ " كان " للدَّلالة على رسوخ الفعل ووقوعه.

وجاء بجواب الشَّرط في قوله:" نبذت الدواة "متلاحقًا مع فعل الشَّرط " كنت " ليشعر بأنَّه لولا الممدوح ما عرف الشاعر للكتابة طريق مما يشعر بفضله وسعة علمه،

---

١ والرمة، بالكسر: العظام البالية، والجمع رمم ورمام والرميم: مثل الرمة، قال الله تعالى: " قال من يحي العظام وهي رميم، لسان العرب ج١٢، ص ٢٥٢.

وجواب الشَّرط أفاد تحقق وقوع الشَّرط، فبلاغة أسلوب الشَّرط تكمن في الترابط والتلازم في تركيب الجمل وربط بعضها ببعض.

و" أل" في قوله:" الدواة" للعهد أي الدواة المعروفة المعهودة.

وفي إسناد الفعل " نبذت" إلى تاء الفاعل للإشارة إلى أنَّ الشَّاعر هو من نبذ الدواة دون غيره. والتّعبير بقوله:" نبذت الدواة " كناية عن كره الشَّاعر للكتابة والإنشاء.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من المناسبة بين الجملتين، وكذلك للتوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

ونلحظ المماثلة بين الجملتين في البيت وقد أضفت على البيت نغمًا موسيقيًا تجذب له الأذن والأفهام.

والتّعبير بقوله: " ولولاه كسرت القلم" كناية عن عدم كتابته وإنشائه للشعر والقول الجميل، وأنَّ للممدوح فضل لا ينكر.

ونلحظ التفويف في البيت، حيث عطف بين الجملتين لوجود مناسبة بينهما، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، وكذلك لأنَّ الجمل متساوية المقادير، وقد أضفى هذا المحسن على البيت موسيقى عذبة.

وبين " القلم "و "الدواة "مراعاة نظير، أكد المعنى، فضلًا عن ائتلاف الألفاظ وتناسقها وتناسبها مع بعضها البعض، وسعة موروثه اللغوي الذي يعبر به، ولهذا الأسلوب فضل في تحسين الكلام وائتلاف الألفاظ.

ويواصل الشَّاعر حديثه في البيت الثلاثين عن الممدوح فيقول: بأنَّه لولا ثنائي للمحبوب قد فرض علي وليس لي رفاهية الاختيار في ذلك، لعرضت سلعتي الشِّعرية آنذاك وطلبت ثمنها.

٣٠ –ولَولَّا فَريضةُ مَدْحي له لقُلتُ بكم يُشترَي لي بكَم.

ويزعم الشَّاعر بأنَّه لولا ثناؤه للممدوح لم يكن له في قرض الشِّعر نصيب قائلًا:" ولولا فريضة مدحي له قد عرض الشَّاعر شعره كغيره من الشُّعراء.

وعبر بلفظ " الفريضة" ليشعر بأنَّ المدح صار فرضًا عليه وليس له أي حرية في الاختيار.

وإضافة " مدح" إلى " ياء المتكلم" في قوله:" مدحي" يشعر بأنَّ المدح يختص بالشَّاعر دون غيره"، وتوحي كذك بالتشريف وتعظيم شأن الممدوح.

والجار والمجرور في قوله:" له" إشارة إلى الممدوح الذي لم يكن لدى الشَّاعر حرية الاختيار في مدحه وإنَّما هذا المدح كامن بين جوانحه وبين أضلاعه لا يستطيع الانفكاك عنه.

وجواب الشَّرط قوله:" لقلت بكم يشترى لي بكم " جاء ليوضح الفكرة التي أراد الشَّاعر توضيحها وتأكيدها وهي أنَّه لا يمدحه لأجل النوال والعطايا، وإنَّما مدحه حبًا فيه ورغبة الشَّاعر التي تكمن بداخله على خلاف بعض الشُّعراء الذين يريدون بالمدح العطاء والنوال، فإذا لم يقدموا لهم توجهوا إليهم بالهجاء.

والتّعبير بقوله:" لقلت بكم يشترى لي بكم " كناية عن أنَّ الشَّاعر لا يعرض شعره بأي عطاء ونوال كبقية الشُّعراء وطلب الثمن الذي يقول به الشِّعر.

وبين " بكَم" و "بكُم" جناس، حيث أراد بالأولى الاستفهام وبالثَّانية الجار والمجرور العائد على المخاطبين.

وقد تعانق مع الجناس المحسن البديعي رد الأعجاز على الصدور، حيث جاء الشَّاعر بالكلمة الأولى في حشو البيت في الشطر الثاني، والثَّانية في آخر العجز مما أضفى على البيت موسيقى عذبة رقيقة تشغف لها القلوب وتجذب لها الأذن.

وفي البيت الحادي والثلاثين يقول الشَّاعر: بأنَّه قد عظم عند العرب مدى امتلاكي عدة لغات أتواصل بها مع الجميع، ومنها لغات غير العرب من العجم.

٣١-وعَزَّ على العُرب أنَّي حفظتُ برغمي بعضَ لُغَات العَجَمْ.

ويعتز الشَّاعر بمعرفته للغات غير اللغة التي يمتلكها في قوله:" وعز على العرب" و"أل" في قوله:" العرب " للجنس أي العرب جميعًا.

والتّعبير بقوله:" أنَّي حفظت" يؤكد بأنَّ الشَّاعر قد حفظ لغات عديدة غير لغات العرب مما يدل على ثقافة الشَّاعر ومعرفته بلغات كثيرة متنوعة.

وقوله:" برغمي" أي رغبة من الشَّاعر في التحدث بلغات متعددة وليس مجبرًا عليها، وهذا إنْ دل يدل على تعدد الثقافات واطلاعه على لغات الآخرين وكأنَّه يمثل الحكمة التي تقول من تعلم لغة قوم أمن مكرهم.

والتّعبير بقوله:" بعض" يوحي بأنَّه لم يحفظ كل اللغات، بل بعضها.

وفي إضافة " لغات " إلى " العجم" ما يوحي بتعدد اللغات عند الشَّاعر، وأنَّها ليست لغة واحدة، وإنما هي لغات عدة ، وهذه الإضافة أغنت عن تفصيل متعذر، وعاون على هذا المعنى الإتيان بالكلمة جمعًا.

وبين " العرب " والعجم " طباق أكد المعنى ووضحه، وأظهر الهوة الشديدة والمفارقة البعيدة بين العرب والعجم.

وفي البيت الثاني والثلاثين يقول الشَّاعر: لقد أخفاني الزمان عن الوجود فصرت مثل الحرف الذي أدغم ولم يظهر في النطق.

٣٢-كَمَا مَجمَجَ الدهُر بي ناطقًا كأنَّي حَرفٌ به مُدغم[١]

في قوله: مجمج الدهر" تصوير، حيث شبه الدهر بإنسان يمجمج، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يشعر بأنَّ الدهر قد أخفى كل شيء ومحاه وليس لدى الشَّاعر الإفصاح عنه. أو مجاز عقلي، حيث أسند فعل المجمجة إلى الدهر من إسناد الفعل إلى زمانه. وقوله:" الدهر" أي الدهر المعهود المعروف.

والجار والمجرور "بي" يشعر بأنَّ الزمان قد أخفاه هو وليس غيره.

وفي قوله: كأني حرف مدغم" يشبه الشَّاعر نفسه في قوله:" كأنَّي حرف مدغم" بالحرف الذي أدغم ولم يظهر في النطق، وهذا التّشبيه يوحي بأنَّ الشَّاعر لولا الممدوح لكان نكرة وما عرفه أحد ولم يكن له ذكر يذكر.

---

١ مجمج الكتاب إذا خلطه وأفسده، الليث: المجمجة تخليط الكتاب وإفساده بلا قلم ومجمجت الكتاب إذا ثبحته ولم تتبين الحروف لسان العرب ج٢ ص٣٦٢.

الدهر: الزمان ويجمع على دهور. ويقال الدهر: الأبد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، النَّاشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطَّبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ج٢ ص٦٦١. والدهر: هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان، وبه يتحد الأزل والأبد، التَّعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف النَّاشر، النَّاشر: دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ١٠٥.

وتنكير كلمة " حرف" يشعر بالتقليل والتحقير من شأن هذا الحرف الذي شبَّه الشَّاعر نفسه به.

وتقديم الجار والمجرور" بي" على " مدغم" للتخصيص أي أن هذا الحرف مدغم به ليس بغيره، وكذلك رعاية للفاصلة.

واستعمال الشَّاعر لـ "كأن" دون " الكاف" لكونها أقوى وأدل على التّشبيه من الكاف وغيرها، وفي ذلك يقول السبكي:" وقال:" وهي إنَّما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي يشك في أنَّ المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس: كأنَّه هو "[1]

وفي البيت الثالث والثلاثين يقول الشَّاعر: قد قبلت أقل الأشياء، ولكنَّي تربعت أعلى مكانة في عهدك أيها الفاضل.

٣٣-رَضيتُ رَضيتُ بأدنى الحَضيضِ وخلَّيت خلَّيت أعْلى القِمم.[2]

يأتي التّعبير بصيغة الماضي في قوله:" رضيت رضيت" ليؤكد وقوع الفعل وتحققه وهو أنَّ الشَّاعر قد رضي بأقل الأشياء، وأنَّه قد وصل به الرضا منتهاه.

وفي تكرار الفعل وإعادة الكلمة بعينها ما يشعر بالتأكيد، ولكي يلفت انتباه المتلقي بأنَّ إعادة الكلمة في المرة الثَّانية ما أعيدت إلا لأنَّه أراد تثبيت الفكرة وتقريرها في ذهن السَّامع، فتكرار الكلمة وترادها تعكس نغمًا موسيقيًا فضلًا عن التغاير في المعنى.

والتِّكرار هنا قد استدعاه المعنى وتطلبه وفي ذلك يقول الدكتور محمد رجب البيومي:" ولا شك أنَّ التِّكرار سلاح ذو حدين فقد يكون ناجحًا مثمرًا إذا طرق النُّفوس من أبواب ملونة، وقد يكون مبعث السأم والضيق إذا فقد التلوين في العرض والإبداع في التَّصوير حتى ليؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عن فحواه " [3]

---

١ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣هـ) ،تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، النَّاشر: المكتبة العصرية للطباعة والنَّشر، بيروت_ لبنان، الطَّبعة: الأولى: ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م، ج٢ ص٧٧.

٢ الرضا: سرور القلب بمر القضاء، التَّعريفات ص ١١١.

٣ البلاغة النبوية د. محمد رجب البيومي، ط. الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط. الأولى ٢٠٠٨م ص١٩.

وفي قوله:" بأدنى الحضيض" يوحي بأنَّ الشَّاعر قد رضي بالدون من الأشياء.
وإضافة " أدنى " إلى " الحضيض" يوحي بقلة شأن الشَّاعر وهوان أمره وقلة حيلته، وأنَّه لا يعد شيئًا.
ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.
وقد بنى الشَّاعر بيته على التِّكرار في الشطرين فأعاد الفعل " خليت" عن طريق التوكيد اللفظي فذكر الفعل مرة ثانية ليشعر بأنَّه قد تربع على عرش العزة والكرامة عن طريق القاضي الفاضل.
فالتِّكرار الذي لجأ إليه الشَّاعر أراد به تثبيت المعنى والتأثير في الآخرين، وقد شكل هذا التِّكرار نغمًا موسيقيًا أطرب الأذن وهزّ الوجدان بتكوين إيقاعًا داخليًا في الكلام مما منح الكلام قوة في المعنى وتأثيرا في المتلقي فالتِّكرار" يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف اهتمام المتكلم بها"[1]
وفي إضافة " أعلى " إلى " القمم" مايوحي بأنَّ الشَّاعر قد وصل إلى أعلى القمم وأنَّه قد وصل إلى أعلى المناقب في زمن القاضي الفاضل.
وبين قوله:" رضيت رضيت بأدنى الحضيض" وبين قوله:" وخليت خليت أعلى القمم" مقابلة، حيث قابل الشَّاعر بين حالين مختلفين حال الرضا وهو في أدنى المنازل وبين حال تبوأه أعلى المنازل والمراتب. فالمقابلة تنقل النَّفس من النقيض إلى النقيض، وتثبت الفكرة في الذهن من خلال التناقض بين المعنيين.
وفي البيت الرابع والثلاثين يؤكد الشَّاعر بأنَّه ليس من أصحاب هذه المكانة السامقة، ولكن عشق الممدوح يتخطى كل شيء قائلًا:

٣٤-فمَا أنَا من أهلِ ذاكَ المَقَام ولا أنَا من رَقْم ذَاكَ القَلم[2].

وقد أكد الشَّاعر عن طريق النفي بأنَّه ليس ممن يستحق هذه المكانة المرموقة بقوله:" فما أنا من ذاك المقام.

١ قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة ط، دار العلم للملايين _ بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٤٢.
٢ الرقم: الكتابة والختم، لسان العرب ج١٢، ص ٢٤٩.

وأتى بضمير التكلم " أنا" وذلك لأنَّ المقام مقام تكلم، والشَّاعر يشعر بقلة شأنه فليس من أصحاب المكانة السامقة، وفي تكرار الضمير ما يشعر بتأكيد وتثبيت الفكرة التي أراد التحدث عنها، وهي أنَّه ليس يضاهي القاضي الفاضل في علو شأنه وهمته.

والجار والمجرور في قوله:" من أهل " يوحي بأنَّ الشَّاعر ليس ممن يستحقون الشرف والمكانة ولا يوجد صلة قرابة بينه وبين القاضي الفاضل حتى ينال ذلك الشرف، فمكانة الممدوح عالية لا تضاهيها أي مكانة حتى يحظى الشَّاعر بهذا المقام. والتّعبير باسم الإشارة "ذاك" إشارة إلى تعظيم الممدوح وعلو شأنه ومكانته المرموقة.

والتّعبير بالبدل في قوله:" المقام" وذلك لزيادة الإيضاح والتقرير، وذلك لأنَّ المقام مقام مدح، إشارة إلى مقام القاضي الفاضل وعلو رتبته ومكانته خاصة أنَّه كان يمتلك مكانة عالية لدى الملك صلاح الدين.

ثم يعود الشَّاعر مرة ثانية ويكرر بأنَّه لم يكن ممن يكتب ويرقم اسمه بقلم الممدوح، ويصل إلى ما وصل إليه، ولا يستحق شيئا ممن ناله على يد هذا الممدوح، فله عليه آياد ونعم سابغات.

وقوله:" ولا أنا من رقم ذاك القلم " كناية عن أنَّ الشَّاعر ليس من رقم ذلك القلم الذي يكتب به القاضي الفاضل.

ويأتي السجع بين الشطرين، فقد اختلفت الفاصلتان في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، وهذا ما يسمى بالسجع المطرف.

وقد تعانق التَّصريع مع السجع المرصع في تحقيق الموسيقى الداخلية والخارجية في البيت، حيث ختم الشطر الأول بحرف الميم، وختم الشطر الثاني بحرف الميم كذلك، وهذا إنْ دلَّ يدلُ على قدرة الشَّاعر وبراعته الفنية، ولا يقدر على هذا الفن إلا الفحول من الشُّعراء.

وفي البيت الخامس والثلاثين يقول الشَّاعر: وقد نصر الله أهل الحق، ولم ينصر أهل الباطل فأعان أهل الحسين وشدَّ من أزرهم.

٣٥-وما ضيَّعَ اللهُ آلَ الحُسيَن إذا رَفَعَ الدهرُ آلَ الحَكَم.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن أهل الحق وهم آل الحسين بقوله:" وما ضيع الله آل الحسين" بصيغة الماضي المنفي بأنَّ الحقَ سبحانه رفع ذكر سيدنا الحسين وآل بيته وجعله في أعلى المراتب ونصرهم على أهل الباطل والزيف.

والتّعبير بقوله:" وما ضيع الله آل الحسين " كناية عن رعايتهم وحفظ الحق _سبحانه _ لهم وتخليد ذكرهم، وإضافة " آل " إلى " الحسين" يوحي بأنّ الحق _سبحانه_ رفع قدرهم، وشدَّ من أزرهم، وحفظ نسلهم.

وليشعر بأنَّ الحق سبحانه نصر أهل الحق والمقصود به آل الحسين، وفي الوقت ذاته قد رفع الأمويين وأعلى من شأنهم وكانت لهم السيادة والحكم، والتّعبير بقوله:" إذا رفع الدهر آل الحكم " يشعر بأنَّ رفعة (آل الحكم) والمقصود بهم مروان بن الحكم وبنيه وأحفاده من خلفاء بني أمية وأعوانه كان في فترة من الفترات، ولكن لم تمتد على طول الزمن.

وإسناد الفعل "رفع" إلى " الدهر" مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى زمانه، وبلاغة المجاز تتمثل في المبالغة فضلًا عن الإيجاز الذي هو لب البلاغة.

وبين " ضيع" و"رفع" طباق خفي، حيث يستلزم من الضياع الخفض الذي هو ضد الرفع، فالطِّباق أوضح المعنى وأبرزه، فالضد يستدعي بعضه بعضًا.

وإضافة " آل" إلى " الحكم " يوحي بأنَّ أتباع مروان بن الحكم قد رفع شأنهم الحق ﷻ وإذا ذكروا لا يذكرون إلا لأخذ العبرة والعظة، وعدم السير على منوالهم.

هذا والجمل الاسمية المثبتة والمنفية عاونت على فهم المعنى المراد، وهو أنَّ الحق ﷻ لم يظلم أحدًا وهو في حين رفع آل الحكم وهم مروان بن الحكم والمقصود بهم الأمويون في ذلك الوقت ما ضيع الله آل الحسين.

فقد استعمل الشَّاعر الكلمة في موضعها اللائق بها فجاءت سهلة استساغها العقل وقبلها الذوق فـ " حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النَّفس لما يرد عليها من حسن الصُّورة وطرق الدلالة"[1]

وبين الشطرين من التلاؤم والتناسق فبينما رفع آل مروان بن الحكم وبغهم إلى سدنة الجكم إذ به لم يضيع آل الحسين إذا حفظهم بأن جعل ذكرهم دائم.

---

١ النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٨٨.

وفي البيت السادس والثلاثين يقول الشَّاعر: وقد وفَّى الزمان معي ولم يخذلني في أي وقت مضى، ويقول بأنَّ عبد الرحيم البيساني يفديه أمم بسبب وقوفه بجواري وجوار من يحتاج إليه.

٣٦-وما يُبعد الدهرُ لي مَطلبًا وعبدُ الرحيم فِدَاه أُمَم.

قوله: " يبعد الدهر " مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى زمانه، فالإبعاد لا يكون من الدهر وإنَّما أسنده إليه لوقوعه فيه.

وقدم الجار والمجرور في قوله:" لي" على المعمول " مطلبًا" للاهتمام بالمقدم، وهو أنَّ الشَّاعر ما ابتغى شيئًا إلا وكان الدهر ملبيًا له ما يريد.

وتنكير " مطلبًا" يوحي بتعظيم هذا المطلب، فكل ما يتمناه الشَّاعر يستجاب له بسرعة وانقياد.

والإتيان بالعلم "عبد الرحيم" لتعيينه باسمه المختص به وتخليد ذكره، وإحضاره بعينه في ذهن السَّامع؛ وذلك تلذذًا بذكر اسمه، فاسمه يثير في نفسه كل ذكرى طيبة " كما أنَّ في ترديده لهذا الاسم ما يخفف لآلامه ويداوي جراحه، ويبرز هذا الاسم في الوجود ويخلده في الأذهان، فهو وإن كان قد طوى من الحياة إلا أنه مذكور في العقول دائمًا وخلد في الأذهان أبدًا" [١]

وقدم قوله " فداه " للاهتمام والعناية بالمقدم، وأنه يستحق الفداء.

وتنكير " أمم" مع جمعها أفاد التَّعظيم والتفخيم من شأن الممدوح حيث لم تفديه أمة واحدة، بل أمم كثر متنوعة ومتعددة.

وفي البيت السابع والثلاثين يقول الشَّاعر: وبهذا أستطيع أن ألج باب الحق بكل يقين وأصل إلى دروب الفلاح قائلًا:

٣٧-بِه سوفَ أدخلُ دارَ السَّلامِ ويُلقي الزمانُ إليَّ السَّلم.

قدم الجاروالمجرور" به" على دخول دار السلام للاهتمام بالمقدم،

"إنَّ من عادة العرب إذا أرادت العناية بشيء وتوكيده قدمته، ويكون توكيد التَّقديم بإخراج أحد عناصر الجملة من مكانه ووضعه في غير ما يقتضيه قرينة الرتبة، فالمتقدم يلقي اهتمامًا في نفس السَّامع والمخاطب، فيقدم – بناء على هذا الغرض

---

١ علم المعاني د. بسيوني فيود ج١ ص ٩٤بتصرف.

الدلالي – المفعول على الفعل والفاعل، والخبر على المبتدأ، والحال على صاحبها ...إلخ [١]

وعبر بـ " سوف" دون " السين " لكونها أكثر حروفًا من السين فهي تدل على كثرة المعنى لزيادة المبنى وتخلص المضارع للاستقبال وفي التّعبير بصيغة المضارع المسبوق بسوف في قوله: " سوف أدخل"، ليؤكد على الرغبة التي يتمناها الشَّاعر وهي أنْ يدخل دار السلام، وزعم الزَّمخشري" أنَّها إذا دخلت على فعل محبوب أومكروه أفادت أنَّه واقع لا محالة، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه".

والتّعبير بالمضارع " أدخل " المقترن بسوف ليفيد بأن للممدوح الفضل والأثر الطيب في دخوله دار السلام نتيجة توجيهه السديد وإرشاده السليم.

والمقصود بدار السلام " الجنة" وسميت بدار السلام؛ لسلامتها من أي عيب، وليس فيها من آفات الدنيا ما يشينها من الهموم والمنغصات.

وإضافة "دار" إلى " السلام"؛ لتعظيم تلك الدار فهذه الدار التي أعدها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الذين عملوا الصاحات، فكانت الجنة هي مستقرهم ومسكنهم، فضلًا عن اقتران هذه الدار باسم الحق سبحانه وتعالى فهو السلام.

ووصل بين جملة " ويلقي الزمان إلى السلم" وجملة " أدخل دار السلام" للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى.

وقوله:" يلقي الزمان" مجاز عقلي علاقته الزمانية، حيث أسند الفعل يلقي إلى الزمان، فالزمان هو وقت الإلقاء.

وقد أدى التَّصريع بين الشطرين إلى الانسجام والترابط بين أجزاء الكلام فضلًا عن الجناس بين السلام والسلم.

وفي البيت الثامن والثلاثين يقول الشَّاعر: وقد عظمت سكناي في زمانك أيُّها القاضي الفاضل حينما كنت بجانبك وسرت على خطاك قائلا :

٣٨-يَقولُ لدهري أسكُن حِرَا فقَالَ ليَّ الدَّهرُ أُسكُن حَرَمْ.

---

١ الدلالة والتعقيد النحوي دراسة في فكر سيبويه لمحمد سالم صالح، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر ٢٠١٤م ص٣١٦.

في التّعبير بصيغة المضارع " يقول" لاستحضار الصُّورة الماضية، فقد أبرز المعنى في صورة الفعل باستمراريته، والفكرة التي أراد إيصالها للمتلقي.

وفي قوله:" يقول لدهري" مجاز عقلي علاقته الزمانية، حيث أسند الفعل إلى زمانه، وهذا المجاز حقق الإيجاز والاختصار " إن صلة المجاز العقلي بالمعنى تجعله ذا صلة بالنَّظم يقول الإمام عبد القاهر: " واعلم أنَّ من سبب اللطف في ذلك أنَّه ليس كل شيء يصلح لأن يتعاطى فيه هذا المجاز الحكمي بسهولة، بل تجدك في كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أن تهيئ الشَّيء وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النَّظم" [١]

وفصل بين جملة "يقول لدهري" وبين جملة " أسكن حرا" لما بينهما من كمال الانقطاع حيث وقعت الجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى والثانية إنشائية لفظا ومعنى. أو الفصل لشبه كمال الاتصال لأن بعد القول كما يقول الإمام عبد القاهر.

والتّعبير بقوله:" فقال لي الدهر" تصوير، حيث شبه الدهر بإنسان يقول، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية والتَّصوير يشعر بأنَّ الدهر له الأثر البالغ في حياته.

ونلحظ أسلوب العكس والتبديل في البيت حيث وقع بين متعلقي فعلين، وبلاغة هذا اللون تكمن في جذب انتباه المتلقي، وذلك أن التِّكرار يفيد معنى غير المعنى الأول مما يشعر السَّامع بأنَّ المعنى الأول هو الثاني، فإذا بعنصر المفاجأة والمباغتة فيأتي المعنى الثاني غيره، فضلًا عن تقديم بعض الألفاظ على بعض.

وفصل بين جملة " فقال لي الدهر" وبين جملة " أسكن حرم " لما بينهما من شبه كمال الاتصال أو لكمال الانقطاع حيث وقعت الجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى والثانية إنشائية لفظا ومعنى.

وبين " حرا" و "حرم" جناس ناقص أضفى على البيت موسيقى عذبة هامسة.

وفي البيت التاسع والثلاثين يقول الشَّاعر: لقد عاش محبو القاضي الفاضل في حياة رغيدة تطوقها النعم والسعادة قائلا:

٣٩-لقد شَمَل الخَلقُ إنعامه فهُم في النَّعيمِ وهُم في النِّعمْ.

---

١ الدلائل ص ٢١٣.

وقد استهل الشَّاعر بيته بأسلوب التأكيد باللام وقد الداخلة على الفعل الماضي مما زاد الكلام تأكيدًا على تحقق الفعل ووقوعه بأنَّ محبي الممدوح يعشيون حياة رغيدة يعمها النعيم.

والتّعبير بقوله:" لقد شمل الخلق إنعامه" كناية عن كرم الممدوح، وشمول إنعامه جميع الخلق، ثم يؤكد بالجملة الاسمية على شدة كرم الممدوح بالتّعبير بقوله:" فهم في النعيم وهم في النعم، والتّعبير بضمير الغائب هنا العائد على الخلق للإيضاح والتقرير، وتكرار الضمير يوحي بالتأكيد.

وقوله:" فهم في النعيم " مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر النعيم وهو دال على حالهم، وأراد المحل مكان النعيم وهو الجنة.

ويأتي التفصيل بعد الإجمال في قوله : "فهم في النعيم وهم في النعم " حيث أتى بالإجمال في قوله : " فقد شمل الخلق إنعامهم " ثم فصل هذا النعيم بقوله: " فهم في النعيم وهم في النعم"

وقوله: وهم في النعم" مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر النعم، وهو دال على حالهم.

وبين "النعيم" و "النعم" جناس اشتقاق، أضفى على البيت موسيقى عذبة رقيقة.

ووصل بين قوله: فهم في النعم" وقوله: " وهم في النعيم " لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث يشعر بأنَّ الذين أنعم عليهم الممدوح في رغد من العيش، وهم كذلك في حياة سعيدة هانئة يعمها النعيم والسعادة وعاون على فهم المعنى تكرار الضمير الذي وضح وأبرز بأن هؤلاء في النعيم ولديهم نعم كثيرة.

وفي البيت الأربعين يقول الشَّاعر: إذا سأله أحد منحه من وافر نعمه، فهو ذو أياد بيضاء على الجميع.

٤٠ –يسابقُ سؤَّاله بالعَطَا فلا لا يُقالُ كمًا لَا نَعَمْ.

والتّعبير بصيغة التفاعل التي تدل على المشاركة في قوله:" تسابق" يشعر بأنَّ الشَّاعر قد سبق عطاؤه سؤال الناس له. والتّعبير بقوله:" يسابق سؤَّاله بالعطا " كناية عن أنَّ الشَّاعر يعطي من وافر نعمه العطاء الوافر.

والتّعبير بالجمع " سؤَّاله" للتنوع والكثرة وأن من يسألوا الممدوح كثيرون لا حصر لهم ومع ذلك فهو يعطيهم من وافر عطائه وكرمه.

وفي البيت الحادي والأربعين يقول الشَّاعر: ومن يضاهي القاضي الفاضل في منحه وعطاياه، ففضله سابغ وكرمه واسع قائلًا:

٤١-فمَنْ ذا الذي بعطَايَاه ما ومَنْ ذَا الذي بأيَاديه لَمْ.

والتّعبير بـ " أسلوب الاستفهام في قوله:" فمن ذا الذي بعطاياه ما " للإنكار المشوب بالتعجب فهو يتعجب ويتساءل منكرًا من أنَّه لا يضاهي القاضي الفاضل ويشبهه في منحه وعطاياه ويقول: من ذا الذي بعطاياه ما استفاد؟

وقد صدر الكلام بالاستفهام لما في ذلك من جذب انتباه السَّامع والدعوى إلى الترقب والشغف بما سيأتي بعد أداة الاستفهام، فالاستفهام أوجد ترابطًا في التَّركيب فأثار انتباه المتلقي.

والتّعبير باسم الإشارة المشار إليه بالقرب في قوله:" ذا" لبيان حاله في القرب تحقيرا لشأن من أراد أي يشابه أو يضاهي الممدوح في صفاته.

واسم الموصول في قوله:" الذي" للإيماء إلى تشويق السَّامع إلى ما سيأتي بعده ليتمكن في نفسه.

والتّعبير بالجمع في قوله: "عطاياه" يوحي بالكثرة والتَّعدد، فعطاء الممدوح كثير لا يمكن حصره أو عده، ويوحي كذلك بأنَّ عطاء الممدوح لم يختص بفرد دون فرد، وإنَّما شمل وعمَّ كل من حوله.

ويأتي الاستفهام في الشطر الثاني في قول الشَّاعر:" ومن ذا الذي بأياديه لم" والغرض منه كذلك الإنكار المشوب بالتعجب فيتعجب الشَّاعر من أنَّه يوجد أي شخص يضاهي ويحاكي الممدوح في فضله وأياديه البيضاء التي عمَّت وشملت كل من حوله.

والتّعبير بـ " الأيادي" مجاز مرسل علاقته السببية، بإطلاق اسم السبب على المسبب، حيث استعملت في النعمة؛ لأنَّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها.

وفي هذا البيت اكتفاء، والمعنى فمن ذا الذي بعطاياه ما استفاد، ومن ذا الذي بأياديه لم يستفد، وهذا الحذف لتذهب النَّفس في المحذوف كل مذهب، وتتصور ما

تتصور، وكذلك للإيجاز والاختصار وهذا يعني بأنَّه لم يوجد من لا يستفيد من عطائه وكرمه ومن الذي لم يكن له فضل وأياد عليه، وللمحافظة على وزن البيت.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الإنشائية لفظًا ومعنى.

ونلحظ الموازنة في البيت، حيث إنَّ الفاصلتين متساويتان في الوزن دون التقفية، مما أضفى على البيت الموسيقى العذبة.

وفي البيت الثاني والأربعين يقول الشَّاعر: بأنَّ الملوكَ يقفون طائعين يعلنون له الانقياد والإذعان حتى الأسود ذو القوة والشجاعة يضعفون أمامك قائلًا.

٤٢ –وإنَّ المُلوكَ به كالعَبيدِ وإنَّ الأسودَ به كالغَنَمْ.

أكد الشَّاعر كلامه بـ " إنَّ واسمية الجملة " ليؤكد ويثبت أنَّ الملوك بجوار الممدوح ما هم إلا كالعبيد بقوله:" وإنَّ الملوك به كالعبيد" فقد أراد الشَّاعر من خلال التّعبير بالجمل الاسمية أنْ يقرر حقيقة واضحة أمام العيان وهي أنَّ هؤلاء الملوك مع علو شأنهم فهم بالنسبة للممدوح ما هم إلا عبيد وخدم له، وهذا يصور الحالة التي عليها هؤلاء الملوك من ضعة الشأن بالنسبة للممدوح والذلة والمهانة.

ويأتي التّشبيه في البيت في قوله:" وإنَّ الملوكَ به كالعبيد"، حيث شبَّه الملوك بالعبيد، وهذا التَّصوير يشعر بأنَّ الملوك بجانب القاضي الفاضل كالعبيد منقادين طائعين، بل ويعلنون الانقياد والإذعان، ففي التّشبيه إثارة للمخاطبين وذلك لما في التّشبيه من الروعة والجمال"وللتَّشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا ويكسبها جمالًا وفضلًا، ويكسوها شرفًا ونبلًا، فهو فن واسع النطاق، متسع الخطو، ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدوى"[١]

والتّعبير بالجمع في قوله:" الملوك " يشعر بالكثرة فلم يكن ملكًا واحدًا، بل كانوا كثرًا، وتوحي كذلك بالعزة والرفعة والشرف، فإذا ذكر الملوك ذكر السؤدد والجاه والسلطان.

---

١ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، النَّاشر: المكتبة العصرية – بيروت، بدون تايخ، ج١، ص ٢١٩.

والجار والمجرور في قوله:" به " يفيد أن هذا الأمر يختص بالممدوح دون سواه. والتّعبير بـ " العبيد" يشعر بالذل، والهوان، والانقياد، والإذعان.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، فبينما الملوك ينقادون لأمره وينصاعون، فإذا بالأسود كالغنم من ضعفهم وهوانهم، وكأنَّ الشَّاعر يصور لنا من خلال هذا التّشبيه أنَّ الأسود مما اتصفوا بالشجاعة والإقدام صاروا كالغنم التي يتم افتراسها من الغير مما يشعر بضعفهم.

وبين " الملوك" و " العبيد" طباق، يوضح المعنى ويؤكده، ويبرز الهوة الشديدة، والمفارقة البعيدة بين الملوك والعبيد، لأنّه يستلزم من ذكر الملوك الطاعة لهم والانقياد لأمرهم، أمَّا العبيد فيستلزم من ذكرهم الانقياد والانصياع لغيرهم وطاعتهم لسيدهم ومالكهم.

ويأتي التّشبيه في قوله:" وإنَّ الأسود به كالغنم"، حيث شبَّه الشَّاعرُ الأسودَ ذوي القوة والسلطان بأنَّهم غنم لا قوة لهم بجانب الممدوح ينساقون وراء قائدهم مما يشعر بضعفهم وهوان شأنهم.

وهذا التَّصوير يشعر بمدى انسياق تلك الأسود القوية شديدة السيطرة، والبطش للممدوح، وانسياقهم وراء الممدوح ، فلا قوة لهم في وجود الممدوح، وعاون على هذا اقتران الغنم بـ " أل " وجمعها.

وبين " الأسود " و" الغنم" طباق يوضح المعنى ويؤكده ويوضح الهوة الشديدة والمفارقة البعيدة بين الأسود وبين الغنم، فالأسود تتصف بالفراسة والالتهام والقوة، أما الغنم فتتصف بالضعف.

وفي البيت الثالث والأربعين يخبرنا الشَّاعر بأنَّ القاضي الفاضل هو القاضي العادل الذي يفصل بين مشاكل الناس ويصدع بالحق بينهم قائلًا:

٤٣-تَجئ الملوكُ إلى بَابِه إذا اختصَمُوا ليكونَ الحَكَمْ.

والتّعبير بصيغة المضارع " تجئ" يفيد تجدد الفعل واستمرار صورة وقوف الملوك إلى باب الممدوحفهم يتجدد منهم الوقوف دائما، مما يشعر بحكمة القاضي ولجوء ممن هم عليه القوم.

وجمع الملوك واقترانها بـ " أل" في قوله:" الملوك" يوحي بكثرة الملوك وتعظيمهم، وأنَّ الحكم عام يشمل جميع الملوك ولم يستثن منهم أحد.

وقوله:" إلى بابه " يُشعر بالاختصاص أي باب الممدوح لا باب غيره.

والتّعبير بجملة الشَّرط في قوله:" إذا اختصموا " أي يأتي الملوك إليه؛ ليكون الحاكم العادل بينهم ونلحظ حذف جواب الشَّرط في الجملة والتقدير: تجئ الملوك إليه، لدلالة الكلام السابق عليه.

وقوله:" ليكون الحكم " كناية عن حنكة الممدوح وقدرته على حل المشاكل والمنازعات فيما بينهم.

والتّعبير بلفظة " الحكم" تشعر بأنَّ الممدوح إذا فصل بين الملوك فحكمه العدل والفيصل الذي لا يظلم أحد عنده.

وفي البيت الرابع والأربعين يقول الشَّاعر: يبصر الجميع تجاربه الثمينة تجاه كل المشكلات، فيحكم بينهم بالحكمة والتقرب منه يُعد فرصة عظيمة حتى يرتوي الناس من هذه التجارب قائلًا:

٤٤-فيفصلُ مُشكِلهم بالبيانِ ويَحْكم[1] بينهم بالحِكَمْ.

ثم يواصل الشَّاعر حديثه بأنَّ الممدوح يفصل بين الملوك إذا وقعت بينهم المشاحنات والمنازعات فيكون الحكم بينهم قائلًا: " فيفصل مشكلهم بالبيان" والتّعبير بالمضارع " يفصل" يشعر بتجدد الفعل واستمراريته وأنَّ هذا الفصل يتجدد من القاضي مرة تلو الأخرى.

والتّعبير بـ " البيان" أي يحكم بينهم بما شرعه الله سبحانه وتعالى لهم.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى حيث إنَّ الممدوح يقوم بالفصل بين المتخاصمين، وكذلك يقوم بالفصل بين الحق، والباطل.

والتّعبير بـ " يحكم" أي أنَّ الناس يتحاكمون إليه، وهو يحكم بينهم بالقول الفصل والحكمة والموعظة الحسنة.

---

١ وحاكمته إلى القاضي

والتّعبير بالبينية في قوله: " بينهم "يشعر بأنَّ هناك فئتين متخاصمتين يحكم بينهم فيما يخص أمورهم.

والتّعبير بـ " الحكم" يشعر بأنَّه لا يحكم بينهم إلا بأفضل الأشياء فحكمه بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويأتي الجناس " يحكم " و" الحكم " وقد تعانق مع رد الأعجاز على الصدور لإحداث موسيقى عذبة هادئة في البيت.

والبيت كناية عن حنكة الممدوح ومدى فصله بين الأمور الدقيقة ووعيه بجل الأمور التي يستطيع الفصل فيها، وهذا لا يعطى إلا لمن له حكمة في مجريات وأحداث الحياة التي تدور من حوله.

وفي البيت الخامس والأربعين يقول الشَّاعر: بأنَّ التقرب منه يُعد فرصة عظيمة حتى يرتوي الناس من هذه التجارب قائلًا:

٤٥-يَرونَ مَوْدته[١] قربةٌ وطَاعتُه فرصةٌ تُغْتَنَم.

والتّعبير بصيغة المضارع "يرون"، لتجدد الفعل واستمرارية الحالة التي عليها هؤلاء، فهم يرون أنَّ مودة القاضي الفاضل قربة لهم، وهذه الرؤية تتجدد منهم وتستمر.

وإضافة " مودة" إلى " ضمير الغائب " العائد على الممدوح لتعظيم تلك المودة وتفخيمها فهي مودة عالم وليست كأي مودة.

وفي تنكير " قربة" ما يشعر بتعظيم تلك القربة فهي قربة من عالم جليل وليست أي قربة.

ويأتي الإيجاز بالحذف في قول الشَّاعر:" وطاعته فرصة تُغتنم" والتقدير: ويرون طاعته " لدلالة الأول عليه، فالحذف الذي أدى إلى الاختصار أدى كذلك إلى المسارعة إلى المطلوب ووصول الشَّاعر إلى بغيته المنشودة، وجعل الشَّاعر يؤدي ما يبتغيه بأقل الألفاظ.

وإضافة " طاعة" إلى " ضمير الغائب في قوله: "طاعته" للإشارة إلى مدى الانصياع والطاعة، وأنَّ طاعة القاضي الفاضل فرصة لا بد من الفوز بها.

---

١ الود: والوداد: الحب، والصداقة، ثم استعير للمتمنى، تاج العروس ج٩ ص ٢٧٨، وددت الرجل أوده ودا، إذا أحببته، والود والود والود: المودة الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج٢ ص ٥٤٩.

وتنكير" فرصة" لتعظيم تلك الفرصة والغاية التي يرى الآخرون أنَّها من الأشياء الضرورية التي لا بد منه، ووصف " فرصة" بـ " تُغتنم" يوحي بمدى الظفر والسعادة التي يشعر بها كل من يقترب إليه.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التَّناسب، فالتقرب من الممدوح يعد فرصة عظيمة ، وكذلك طاعته فرصة تغتنم.

وفي البيت السادس والأربعين يقول الشَّاعر: ولا عجب أنَّك سيد أهل زمانك، وأنَّك قد وصلت من العلا شأنًا حتى تبوأت الدرجات العالية قائلًا:

٤٦-ولا غَروَ أنَّكَ مَوْلى الأنَام وأثْبتهُم في المَعَالي قَدَم.

والتّعبير بإن واسمية الجملة في قوله: " أنَّك مولى الأنام" يشير بأنَّ الممدوح سيد أهل زمانه. وإضافة " مولى" إلى " الأنام " يوحي بعلو شأن الممدوح وأنَّه قد بلغ من العلو والرفعة مبلغًا عظيمًا.

وعبر بـ " الأنام " دون " الناس " وذلك لأنَّ " الأنام يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس."[١]

ووصل بين جملة " وأثبتهم في المعالي قدم" وبين جملة " أنَّك مولى الأنام" لما بينهما من التَّناسب بين الجملتين، حيث إنَّ الشَّاعر سيد أهل زمانه وأعلاهم في الشأن والمكانة.

والتّعبير بالجملة الاسمية " وأثبتهم في المعالي قدم " يؤكد المعنى السابق من علو شأن الممدوح وارتفاع مكانته.

وتقديم الجار والمجرور" في المعالي" للاهتمام بالمقدم ورعاية للفاصلة.

وتنكير" قدم" لتعظيم ذلك القدم وثباته وأنَّه تبوأ الدرجات العالية.

والتّعبير بقوله:" وأثبتهم في المعالي قدم" كناية عن علو رتبته ومكانته فقد بلغ في علو الشأن وتلك المكانة مبلغًا عظيمًا.

وصيغة التفضيل في قوله:" أثبت" توحي بتفضيل الشَّاعر للممدوح على كل من حوله، فهو صاحب المنزلة العالية والمكانة السامية السامقة.

ويأتي التَّصريع في البيت فقد أضفى نغمًا موسيقيًا عذبًا.

---

١ الفروق اللغوية ص ٧٥.

وقد خلا البيت من الجمل الإنشائية وكذلك الأفعال الماضية والمضارعة، وجاء التّعبير بالجمل الاسمية لأنَّه أراد أنْ يبرز من خلال هذا الأسلوب أنْ يثبتَ للممدوح ما يستحق أنْ يوصفَ به.

وفي البيت السابع والأربعين يقول الشَّاعر: وإنَّك لوفي بعهود المؤمنين راع مصالحهم منفذ وعودهم غير ناكث بها قائلًا:

٤٧-وأنَّك أوفَاهُم بالعُهودِ وأنَّكَ أرْعاَهُم للذِّمَم[١]

ويواصل الشَّاعر حديثه عن الممدوح بأنَّه أوفى الأنام بالعهود بقوله:" وأنَّك أوفاهم بالعهود" مؤكدًا بـ " إن واسمية الجملة" مما يشعر بتحقق تلك الصفات في الممدوح من أنَّه قد عاهد فأوفى، والتّعبير بضمير الخطاب في قوله:" وأنك" وتكراره وذلك لأنَّ المقام مقام الخطاب.

و" أفعل التفضيل" " أوفى" و" أرعى" تشعر بأنَّه لا يوجد أوفى بالعهود من القاضي الفاضل، وكذلك لا يوجد أرعى منه في المحافظة على العهد والأمان من الممدوح.

ونلحظ التفويف في البيت، حيث كان له الأثر الجمالي في البيت، فقد كسا الكلام رونقًا وبهاء وجمالًا، فقد جاء بالمعنى في جمل متناسبة مستوية المقادير، وكذلك أبرزت التَّناسب بين الجمل في قوله: أوفاهم بالعهود" وقوله:" أرعاهم للذمم"، ، وقد عطف بعضها على بعض لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى.

وجمع " الذمم"، يشعر بتعظيم ذلك الأمان والعهد الذي للممدوح، وأنّهَ يعلو الجميع في كل شيء فهو راع للأمان والعهود لا يضاهيه في ذلك أحد، وعاون على فهم هذا المعنى التّعبير بالجمل الاسمية وتأكيدها.

وفي البيت الثامن والأربعين يقول الشَّاعر: ونفتخر أيُّها القاضي الفاضل بعظتمك وشموخك الأخاذ ومدى قوتك التي ذاع صيتها والعزيمة التي تكمن بين جوانحك قائلًا:

٤٨-فخارٌ أجلُّ وطولٌ أطلُّ وبأسٌ أشدُ وعَزْمٌ أشَمْ.

---

١ تفسر الذمة بالعهد وبالأمان وبالضمان أيضا. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج١ص٢١٠.

وقد حذف المسند إليه في قوله:" فخار" لضيق المقام والتقدير: أنت فخار، وذلك لأنَّ المقام مقام الشِّعر، وكذلك يكثر هذا الحذف في المدح لتعظيم شأن الممدوح.

ويأتي التقسيم ليضفي على البيت جمالًا ورونقًا، فقد جمع بين عدة صفات أضافها للممدوح وهي " فخار أجل وطول أطل وبأس أشد وعزم أشم"

وقوله:" فخار" ووصفه بـ " أجل" للدَّلالة على عظمة نسبه وفخره.

وفي قوله:" وطول " حذف للمسند إليه وذلك لأن الشاعر في مقام المدح فأفاد تعظيم شأن الممدوح ووصفه بـ " أطل " للدَّلالة على أنَّ فضله وغناه وسعة فضله عمت الخلق جميعًا.

وقوله:" بأس " حذف المسند إليه لتعظيمه ووصفه بـ " أشد" يوحي بشدة بأسه وقوة عزيمته وشكيمته التي تقوى به.

وتنكير الصفات " فخار وطول وبأس وعزم " يوحي بعظمة هذا الممدوح وثبات هذه الصفات له.

وبين " طول" و " أطل" ما يشبه الاشتقاق وليس به، وقد أضفى على البيت الموسيقى العذبة الرقيقة.

وبين " أجل " و" أطل" جناس لاحق وقد أضفى على البيت نغمًا موسيقيًا عذبًا.

وحذف المسند إليه في قوله: "وعزم " لتعظيم عزم الممدوح ، ووصف " العزم" بـ " الأشم" يوحي أنَّه سيدٌ ذو عزم وأنفة.

وتعداد الصفات في البيت تشعر بعلو شأنه ورفعة مكانته، وأنَّه قد بلغ من الرفعة والشأن مبلغًا عظيمًا.

وبين "البأس" و"العزم" مراعاة نظير، أكد المعنى ووضحه.

وفي البيت تشطير، حيث جعل كل شطرة من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها مما جعل للبيت خفة وسهولة حين النطق به.

وفي البيت التاسع والأربعين يقول الشَّاعر: بأنَّ دولته ذات مهابة عظيمة وقوة عتيدة يخشاها الأعداء الأراذل قائلًا:

٤٩-ودَولتُه رُكنُها قائمٌ بِرغم العَدو الأغثِّ الأعَمْ.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن مدح القاضي الفاضل بأنَّ دولته قائمةٌ وذات مهابة عظيمة بقوله:" ودولته ركنها قائم"

والتّعبير بالجملة الاسمية في قوله:" ودولته ركنها قائم" يشعر بأنَّ دولته قائمة ثابتة راسخة على المبادئ والأسس السليمة القويمة.

وفي قوله: "ركنها قائم" استعارة حيث، شبه الدولة بالإنسان القائم المستوي البدن، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يشعر بكمال الدولة وعظمتها، وثباتها وقوتها.

والتّعبير بالركن " يشعر بثبات الأعمدة التي بنى عليها دولته،فهي قائمة على الأخلاق والمبادئ. ووصف الركن بأنَّه " قائم" يدل على مدى الثبات الذي عليه الممدوح.

ووصف "العدو" بـ " الأغث " يوحي بقبحه ، وعظم الرائحة الكريهة المنبعثة من هذا العدو.

وتكررت الصفات دون فاصل بينها، لأنَّ الموصوفَ واحدٌ وهو هذا العدو، "وقد مضت بعضها بجوار بعض من غير عاطف، وذلك لأنَّ موصوفها واحدٌ، وقصد الإشعار بأنَّ هذه الصفات في تلازمها كالصِّفة الواحدة."[1]

وفي البيت الخمسين يقول الشَّاعر: بأنَّ من يعلن عداوتك هو إنسان لا أصل له، ولا يمتلك مكارم الأخلاق التي تجعله مصانًا وسط الآخرين قائلًا:

٥٠-يُعادَيك كُلُّ لئيمِ الأصولِ مُبَاح الحريمِ مُشَاع الحرم.

عبر النَّاظم بصيغة المضارع " يُعاديك" ليوحي بالتجدد والاستمرار بأنَّه لا يعادي القاضي الفاضل إلا من هو لئيم الطبع خسيس، وستظل هذه المعاداة تتجدد منهم حينا بعد حين.

وفي إضافة " كل" إلى " لئيم "ما يشعر بتحقير ذلك اللئيم وخبث طبعه، وكذلك العموم والشمول وقد حققت الإضافة الإيجاز والاختصار فضلًا عن أنَّها قد أغنت عن تفصيل متعذر، فبدلًا من أنْ يقول فلانًا وفلانًا ويعدد أسماءهم أضاف لفظة "كل" إلى من يتصف بهذه الصفات.

---

١ من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن د. عبد الفتاح لاشين ٨٤.

وإضافة " لئيم" إلى " الأصول" يشعر بدنو هذا اللئيم وقلة مكانته، وعاون على فهم المعنى جمع "الأصول" التي تشعر بأنَّ العرق دساس، فكل من ينتمي إليهم لئام الطبع أخساء.

وإضافة " كل" إلى المعرفة في قوله: " لئيم الأصول" وذلك لأنَّ الشَّاعر أراد الاختصار، فهو لا يستطيع ذكر هؤلاء اللئام، لذلك أتى بكلمة " كل" التي تفيد الاستغراق والعموم كما أتى بالمضاف ""لئيم" مضافا لـ "الأصول" لأنَّه لا يريد لئيمًا معينًا وإنَّما كل من يشمله هذا الكلام.

وقوله:" مباح الحريم" كناية عن سوء وفساد أخلاق أهل بيته، فعرضه مباح لمن يهتكه لا حرمة له ولا كرامة ولا نزاهة، وهذا إن دل يدل على عدم النخوة وأنهم ليس لديهم دين يمنعهم من هتك أعراضهم.

وقوله:" مشاع الحرم" كناية عن أنَّ أخلاقهم الذميمة معروفة بين الناس ليس لها من يصونها أو يعفها فكيف له بمعادة الممدوح، فسيرته قد شاعت وفاحت رائحتها الكريهة لما يرتكبه من المحرمات التي حرمها الشرع ، وأنه ليس لديهم خصوصية فذم الشاعر لهؤلاء الأعادي مقذع.

هذا وقد تعددت الصفات لموصوف واحد، فلذا وردت بدون حرف العطف، لأنَّ موصوفها واحد

وبين" الحريم" و " الحرم" جناس اشتقاق، أضفى على البيت نغمًا موسيقيًا عذبًا.

وفي البيت الواحد والخمسين يقول الشَّاعر: وحين الاجتماع بالقاضي الفاضل أشعر بسد العجز والتئام الجروح النَّفسية التي قد تنتابني في حياتي قائلًا:

٥١-لَه خَلوة كُلها تَنقضَي برتْق[١] الفُتُوق[٢] وسَدِّ الثُّلم[٣].

وتقديم الجار والمجرور في قوله:" له" على " خلوة " للقصر، حيث قصر الشَّاعر الخلوة على الممدوح لا على غيره، وهذا القصر يشعر بالإيجاز والمبالغة.

---

١ الرتق: ضد الفتق والرتق إلمام الفتق وإصلاحه ورتقه يرتق رتقا فارتتق أي التأم، لسان العرب ج١٠ص ١١٤

٢ فتق، الفتق خلاف الرتق فتقه ويفتقه: شقه، لسان العرب ج١٠ ص ٢٩٦.

٣ ثلم الجدار وغيره ثلما أحدث فيه شقا، المعجم الوسيط ج١ ص٩٩.

وتنكير كلمة " خلوة" يشعر بتعظيم تلك الخلوة، وأنَّها خلوة ينقضي بها كل ما يسد الثغور ويلتئم به الجروح، وأكد هذا الكلام التّعبير بكلمة " كلها" أي أنَّ الخلوة الخاصة بالممدوح لها خاصيتها.

والفعل المضارع " تنقضي" يشعر باستحضار الصُّورة التي كان عليها القاضي الفاضل وأنَّ مجالسه يقضي بها بالحكم الفصل بين الناس.

والتّعبير بـ "رتق الفتوق" يُشعر بالتئام الجراح وحل ما يستشكل على الناس فإذا حكم كان حكمه الحكم الفصل.

وبين" رتق" و "فتوق " طباق أوضح المعنى وأبرزه، وهو أنَّ الممدوح تلتئم به الجراح وتسد به الثغر.

وإضافة "سد " إلى " اللثم" يشعر بالتئام الجراح، وسد الثغرات التي توجد بين الناس.

وبين "رتق" و "سد" مراعاة نظير، وقد ساهم هذا المحسن في تقوية المعنى وتأكيده.

وفي البيت الثاني والخمسين يواصل الشَّاعر حديثه عن الذين يكنون العداوة ويكذبون ويظهرون خلاف ما يبطنون، ولم يكتف بذلك، بل يحلف أنَّه الحبيب الناصح، فهو لم يسد إليه النَّصح بكل أمانة، بل هو ما إلا حاسد مبغض، ولكن لا بد أن يلتفت لكل كاره حاسد قائلًا:

٥٢-ويحْلف أنَّي الحبيبُ النَّصيحُ ويكذِبُ – بل حاسِدٌ متَّهم.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن الممدوح بالتّعبير بصيغة المضارع "يحلف" أي أنَّه يوجد بين من يتعاملون مع القاضي الفاضل، من يكنون له العداوة والبغضاء ويتظاهرون بأنَّهم محبون ناصحون، والتّعبير بلفظ " الحلف" يُشعر وكأنَّ هؤلاء المنافقين صادقين في حبهم له، وعاون على فهم المعنى التّعبير بصيغة المضارع "يحلف"

ثم جاء التّعبير بالجملة الاسمية التي تؤكد كلام من يظهرون الحب للقاضي بإنَّ واسمية الجملة في قوله:" أنَّي الحبيب النَّصيح" والتّعبير بلفظ "الحبيب" يشعر بأنَّهم يكنون له كل الحب والإخلاص والود.

ووصف "الحبيب" بـ " النَّصيح " يشعر بمدى الإخلاص والتفاني والنَّصح والإرشاد، فلم يكن محبًا فقط، بل كان ناصحًا أمينًا، وهو على ما أوهم الآخرين فلم يكن ناصحًا ولم يكن محبًا، ولكنَّه يظهر بخلاف ما يبطن.

وصيغتي المبالغة " الحبيب" و " النَّصيح " تشعر بعدم مصداقية هذا المنافق الآثم الذي يظهر خلاف ما يبطن.

ووصل بين جملة "يكذب" و" يحلف" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، فالشَّاعر يؤكد كلامه بأنَّ من يزعمون محبة القاضي ما هم إلا كاذبون في دعواهم غير ناصحين ولا محبين، وإنَّما يفعلون ذلك رياء وسمعة والحقيقة غير ما يظهرون وكأنَّه يؤكد قول الحق ﷻ: **(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو أشد الخصام)** (البقرة آية ٢٠٤) وكأني به مقتبس لمعنى المتنبي لسيف الدولة

ما لي أكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم[١]

ويلاحظ الإطناب في البيت حيث، عبر بالجملة الاعتراضية في قوله: (–بل حاسد متهم) ليوضح ويفسر مدى حنقهم وبغضهم لما وصل إليه ذلك الممدوح.

وتنكير كلمة" حاسد" يُشعر بتحقير هذا الحاسد وحنقه وبغضه، وأنَّ كل من حوله يعرفون ذلك.

ووصف "الحاسد" بكونه "متهم" يوحي بأنَّ من على شاكلة هذا الحاسد متهم في ذلك الحب، وما يدعيه فهو في موقع الاتهام بحبه للممدوح وفي الحقيقة ما هو إلا حاقد ناقم على النعم التي أنعم الله بها على الممدوح.

وفي البيت الثالث والخمسين يقول الشَّاعر: فهذا الحسود طورًا يكون مع الممدوح وطورًا عليه، فعلاقته غير ثابتة فحينًا يكون معك، وحينًا غير ذلك قائلًا:

٥٣–ينمُّ إليك طَوْرًا عَليك فتَمَّ له أمرُه حين نَمْ.

ويوضح الشَّاعر في هذا البيت بأنَّ حالة هذا الحسود غير ثابتة معبرًا عن ذلك بأنَّه تارة يكون معه وتارة عليه عن ذلك بقوله: " ينم إليك " مما يشعر بانتمائه للممدوح.

والتّعبير بقوله: "وطورًا عليك" تشعر بعدم انتمائه للممدوح، وهذا إنْ دلَّ فإنَّما يدلُ على أنَّ هذا الحسود ما هو إلا منافق يتأرجح بين الحالتين، ويظهر خلاف ما يبطن.

١شرح ديوان المتنبي للواحدي لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ)

وبين قوله: إليك" و" عليك" طباق حيث، قارن بين الحالتين فطورًا ينتمي إلى المحبوب وطورًا عليه، فالفرق بينهما كبير والهوة بينهما بعيدة.

وعطف بـ " الفاء" التي تفيد الترتيب والتعقيب في قوله:" فتم" أي أنَّه قد تم له من الأمر ما نم عنه وظهر عليه.

وبين الشطرين رد للأعجاز على الصدور بين " ينم " وبين " نم " مما أضفى على البيت موسيقى عذبة رقيقة.

والتّعبير بقوله: " فتم له حين نم" كناية عن الحالة التي وصل إليها من أنَّه إذا انتمى إلى الممدوح تم له ما أراده.

وقدم الجار والمجرور في قوله: " له " على " أمره " للاهتمام بالمقدم حيث، إنَّه تم له ما أرد من الأمور التي يتمناه.

وفي البيت الرابع والخمسين يقول الشَّاعر: إذا رأيته في مكان خلا من الملك الفاضل تجده مغوارًا باسلًا، ولكن ينهزم أمام رغباتك ومخيلاتك قائلًا:

٥٤-يُرَى في الخَلا حَامِلًا طَاعِنًا ولكنْ إذا ما رَآكَ انهَزم.

ويسترسل الشَّاعر في الحديث عن الممدوح بأنَّه إذا خرج هذا الرجل إلى الخلاء فتراه مغوارًا باسلًا بقوله: " يرى في الخلا حامِلا طاعنًا" وعبر بالفعل المبني للمجهول في قوله: " يُرى" ليشعر بأنَّ هذا الحاقد الحاسد إذا فتشت عنه تجده في أي مكان خلا منك أيُّها القاضي الفاضل نراه مغوارًا باسلًا يظهر شجاعته وبسالته، ولكن أمامك فهو المنهزم الذليل.

والتّعبير بقوله: "حاملا" يُشعر بعظم هذا الحمل أمام نفسه والآخرين أمام القاضي الفاضل فيظهر هزيمته وعجزه، وعاون على فهم هذا المعنى تنكير الكلمة.

والتّعبير بقوله:" طاعنًا " يشعر بالقوة والبسالة والشجاعة، وعاون على فهم المعنى تنكير الكلمة التي تشعر بكثرة ذلك الطاعن وتكراره مما يوحي بشجاعته وقوته.

ثم يستدرك الكلام بقوله: " ولكن إذا ما رآك انهزم " إشارة إلى أنَّ ما وقع فيه هذا المبغض ما هو إلا بغياب القاضي الفاضل فإذا مارآه أي الممدوح انهزم أمام نفسه فلا يرفع له رأس ولا تعلو له راية.

وعبر بـ " إذا " الشَّرطية ليشعر بتحقق جواب الشَّرط إذا تحقق فعل الشَّرط، وقد جاء الجواب متلاحقا عقب الفعل.

وفعل الشَّرط وإضافة " كاف الخطاب" إليه في قوله: " رآك " تشعر بالرهبة والخوف من رؤية القاضي الفاضل، وهذا إنْ دلَّ يدلُ دلالة واضحة بجلالته وعظم أمره وارتفاع شأنه.

ثم يأتي بجواب القسم" انهزم" متلاحقًا لا يفصل بينه وبين فعل الشَّرط بفاصل مما يشعر بأنَّ رؤية القاضي أحدثت له الهزيمة الساحقة.

والتّعبير بقوله:" ولكن إذا ما رآك انهزم" كناية عن الهيبة والفخامة التي للممدوح فبمجرد رؤيته انهزم.

وبين الشطرين مقابلة، أوفت بالغرض المراد و أنَّ هذا الحاسد الحاقد يراه الآخرون شجاعًا مقدامًا بينما إذا حضر القاضي الفاضل تراه منهزمًا منكبًا لم ير أثر لشجاعته وبسالته، وكأني بالشَّاعر يعقد مقارنة بين جملتين بين حالين أمام القاضي وحاله منفردا، وتكمن بلاغة المقابلة في أنها تزيد المعاني وضوحًا، وتكسبه جمالًا وبهاء، وتشد أجزاء الكلام برباط التَّماسك من استدعاء الضد لضده.

وفي البيت الخامس والخمسين يخبرنا الشَّاعر بأنَّ الملك الفاضل قد بلغ أعلى مراتب المجد والرفعة، وسموا به أيّما سمو قائلًا:

٥٥-وباسمِك قد حلَّ فوق السَّما ولَولاكَ لم يَسْمُ، بَلْ لم يُسَمْ.

والتّعبير بقوله: " وباسمك" يشعر بأنَّ الشَّاعر بلغ عنان السماء بوجود الممدوح.

وأكد كلامه بـ " قد" والفعل الماضي في قوله: " قد حل " أكد المعنى السابق ووضحه من أنَّه قد ارتفع شأنه وعلا.

وإضافة " فوق " إلى " السماء" تشعر بتعظيم شأنه وارتفاعه، وأنَّه لم يبلغ ذلك المبلغ لولا القاضي الفاضل.

وفي التّعبير بقوله: " ولولاك لم يسْم، بل لم يُسَم" كناية عن أنَّه لولا الممدوح لم يرتق إلى أعلى المناصب.

والتّعبير بالفعل المضارع المسبوق بلام الجزم في قوله: " لم يَسْم" يشعر بأنّه لم يصل إلى أعلى الدرجات إلَّا بالممدوح، فما انتهى إليه ما هو إلا بوجود الممدوح.

وقوله:" لم يُسَم" كناية عن أنَّه لم يكن له اسمًا خالدًا في الوجود لولا فضل القاضي عليك، وبين " يَسْمُ " وبين " يُسَم" جناس اشتقاق، أضفى على البيت موسيقى عذبة رقيقة هامسة.

ويتضح رد الأعجاز على الصدور، حيث جاءت الكلمة الأولى في حشو الشطر الثاني والكلمة الثَّانية في آخر العجز، وقد تعانق المحسنان البديعيان الجناس ورد الأعجاز على الصدور، فأضفى على البيت موسيقى عذبة.

وفي البيت السادس والخمسين يتحدث الشَّاعر بأنَّه من يجحد فضلك وينكر عطاياك سينقلب هذا النكران في وجهه ويعود عليه بالأسقام والعلل قائلًا:

٥٦-ويكفُر أنعمَك السَّابغاتِ فسوفَ تعودُ عليه نِقَمْ[١].

والتّعبير بصيغة المضارع " ويكفر" للإشعار باستمرار الحكم ودوامه.

و الجمع في قوله: " أنعمك" لتعدد النعم وكثرتها، وإضافتها إلى " كاف الخطاب" تشعر بتعظيم تلك النعم التي قد أسبغها على الممدوح.

ووصف "النعم" بـ " السابغات" تشعر بأنَّ هذه النعم من الكثرة والوفرة بمكان، فقد غمرها عليهم بفضله ومنَّه الملك الفاضل فهي متمة لهم وعليهم.

ويأتي الحذف الذي حقق الإيجاز وتقدير المحذوف: والله من يكفر" فقد حذف القسم هنا ودلَّ عليه جواب القسم في قوله:" فسوف تعود عليه نقم".

وجواب القسم جاء مقترنًا بأدة التسويف في قوله: " فسوف تعود" للدَّلالة على أنَّ كفر النعم وجحودها ستعود على الجاحد بعاقبة سيئة وخيمة، بأشياء يأباها وينفر منها.

والتّعبير بالجار والمجرور في قوله: " عليه" يشعر بأنَّ هذه النقم ستعود عليه هو دون غيره، وتختص به وحده فهو الناكر للجميل.

وجمع " النقم" وتنكيرها يوحي بكثرتها وتنوعها فهو انتقام لنكران الجميل والمعروف الذي أسداه الممدوح لهؤلاء الناس الذين أنعم عليهم، ولكنَّهم نسوا الفضل فعوقبوا بالأسقام والعلل والأمراض.

---

١ السابغات: سبغ الشيء سبوغا تم وطال واتسع يقال سبغت الدرع، المعجم الوسيط ج١ ص١٠.
نقم: النقمة والنقمة: المكافأة بالعقوبة، والجمع نقم، فنقم، اللسان ج١٢ص ٥٩٠.

وبين " النعم" و " النقم" طباق، وضح المعنى وأبرزه، وأظهر الهوة البعيدة والمفارقة الشديدة بين إسداء الممدوح وجحود المسدى إليه ونكران الجميل.

وفي البيت السابع والخمسين يقول الشَّاعر: بأنَّ الناكرين فضلك يلتهمهم الزمان بنواجذه الحادة فيصبحون مثل الطعام المأكول، ويقاسون كل الصعاب والمكاره قائلًا:

٥٧-ويمضغُه الدَّهرُ مَضغَ الأَديم ويَعْرُكُهُ النحسُ عرْك الأدَمْ.[١]

وتأتي الاستعارة في قوله: " ويمضغه الدهر " فقد شبه الشَّاعر الدهر بإنسان يمضغ، وحذف المشبه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " يمضغ " وهو من لوازم المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يوحي بأنَّ الناكرين والجاحدين فضلك يلتهمهم الزمان بنواجذه ويهضمهم كالطعام المأكول ويتعانق التشبيه في قوله مضغ الأديم وهو من إضافة المشبه به مع المشبه في إبارز المعنى وتوضيحه.

وإضافة "مضغ" إلى " طعام" تشعر بأنَّ الدهر لا يبلى بهم بليلتهمهم بنواجذه ولا يترك منهم أحدًا.

ويأتي التصوير في البيت حيث شبه إفناء النحس والشر لهم بإفناء الجلد المدبوغ وتفتيته وهلاكه، وهذا التصوير يشعر " يعركه النحس" وهذا التصوير يشعر بأنَّ الشقاء والجهد والضر سيكون حليفه ولم يذق حلاوة الأيام، بل لم ير إلَّا مرارتها وقسوتها، وقد تعانق التشبيه مع الاستعارة في إبراز المعنى وتوضيحه في قوله: عرك الأدم وهو من قبيل إضافة المشبه به للمشبه.

وفي إضافة " عرك " إلى " الأديم " ما يشعر بأنَّه سيقاسي كل الصعاب والمكاره.

وقد عبر بالأفعال المضارعة " يمضغه ويعركه " ليشعر بتجدد واستمرار هذه الأشياء وأنَّها مازالت وستبقى معه لأنَّه ناكر للمعروف جاحد.

وقد تعانق الجناس ورد الأعجاز على الصدور في البيت موسيقى عذبة بين قوله: الأديم " و" الأدم"

---

١ مضغ الطعام وغيره مضغا لاكه بأسنانه، المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٧، الأدم أدم بينهم أدما وأصلح وألف والصانع الجلد أصلحه بنزع الزائد من أدمته والطعام خلطه بالإدام فهو مأدوم وأديم، المعجم الوسيط ج٢ ص ٥٩٦،

وفي البيت الثامن والخمسين يقول الشَّاعر: بأنَّه سيعدل من الحديث عن الحاقدين الحاسدين إلى شكر من يشعر بأنَّه قد قصر عنه لفرط عظمه.

المقطع الخامس: فضائل الممدوح على الشاعر.

٥٨-وأعـدِلُ عـن ذا إلـى شُـكرِ مـن ... أُقصِّـر عنـه لفـرطِ العِظَـمْ
٥٩-رَددتَ أبـى بعـد أن كـان سَـارَ ... وكـادت مطيتُـه أن تُـزَمْ
٦٠-رددت إرادتَـه إذ أرادَ ... وثَبَّطـتَ عزمَتَـه إذْ عَـزمْ
٦١-نَهَيـتَ عزيمَتـه فـانتهى ... رسـمتَ إقامَتـه فارتَسَـمْ
٦٢-ووالله مَـا بِـك مِـنْ حاجـةٍ ... إلـى أحـدٍ مِـن جَمِيـعِ الأُمَـمْ
٦٣-ولكـنْ رَقَقْـتَ لـه رحمـةٌ ... فلـو سَـارَ لانحـط أو لانْحَطَـمْ
٦٤-وخِفْـتَ علـى عِقْـدنا الانتشـار ... لأنَّ ببقيـاه كـان انـتَظَمْ
٦٥-ولـو كَـانَ فَـارقَ طَوعًـا نَـداكَ ... لأعقَبَـه فـي الطريـق النـدمْ
٦٦-نَقعـتَ بـه غُلَّتـي والصَّـدَى ... جَمعـتَ بـه كَبـدِي والشَّـبَمْ
٦٧-جَمعـتَ بـه شَـمْلَنا، بـل جَمَعـتَ ... سُـقْيَا الغمـامِ وكَشـفَ الغُمَـمْ
٦٨-وإنِّـي لأَشْـكرُ هـذا الصـنيعَ ... كشُـكر الريَـاضِ لصُـنْعِ الِّـديمْ
٦٩-وفـي الـنَّفس وَاحِـدةٌ أحْرقـتْ ... فُـؤادِي فأَصْـبَحَ فيهـا حَمَـمْ
٧٠-تقُـولُ أعـاديَّ لـولا أبـوكَ ... لمَّـا كُنـتَ تـدخلُ ذاكَ الحَـرَمْ
٧١-وكنْـتَ القَصِّـيَّ وكنـتَ البعيـد ... وكنـتَ مـن العـالَم المُهتَضَـمْ
٧٢-وإنَّ الأجـلَّ يـراك الأقَـلَّ ... ولـو كُنـتَ مِمَّـن رَقَـى أَو رَقَـمْ
٧٣-ومَـا زَالَ فِعلـكُ منـه يُـذَامُ ... ومَـا زَالَ قَصْـدُك منـه يُـذَمْ

واستطعت أيها القاضي أن تثني أبي عن قراره للسير على دابته التي استطاع أن يكبح جماحها، فوقفت حائلًا أمام إصراره على السير منفردًا وأضعفت عزيمته في الانطلاق، وحين أضعفت إرادته انقاد لك أيها القاضي ولم يظهر أي اعتراض، وقد حباك الله أيها الفاضل نعمًا كثيرة جعلتك بمنأى عن مر الحياة وكدرها، وكان قرارك رحمة ألقت بظلالها علينا، ولم تعرضنا للشدائد ، وقد حرصت على وحدتنا وعدم انفراط عقد جماعتنا ، بل قويت روابط المحبة والأخوة فيما بيننا، ولو فارقك كرمك

ونداك لكان الندم حليفه، فقد روي ظمأه وشدة عطشه وجمع بينه وبين أبيه ويرد عليه نار الفراق وحرقته، فقد كان في نفسه شيئا أحرق فؤاده فأصابه فيها محموما ، ويقول أعاديه لولاه ما كنت دخلت في زمرة القاضي الفاضل قائلا :

وفي البيت الثامن والخمسين يقول الشاعر بأنَّه سيعدل من الحديث عن الحاقدين الحاسدين إلى شكر من يشعر بأنَّه قد قصر عنه لفرط عظمه.

آثر الشَّاعر التعبير بالفعل المضارع " أعدل" لاستحضار الصُّورة التي أراد الحديث عنها وهي أنَّه أراد العدول عن الحديث عن ذكر هؤلاء المبغضين الحاقدين المنافقين الذين لا يتأتى منهم الخير.

واسم الإشارة " ذا " لتحقير ذلك الشخص المتصف بتلك الصفات من جحد النعم ونكران الجميل والذي يظهر الحب والنَّصح وما هو إلا مبغض حقود.

والتّعبير باسم الموصول " من" لتعظيم ذلك الممدوح الذي يجب شكره وهو القاضي الفاضل.

وقوله:" أقصر عنه لفرط العظم" كناية عن أنَّ الشَّاعر مقصرٌ في مدح القاضي الفاضل، وعاون على فهم هذا المعنى التّعبير بالفعل المضارع " أقصر" التي تشعر باستحضار الصُّورة التي عليها من التقصير في حق الممدوح، ويبدي الشَّاعر بأنَّ التقصير الذي يحدث بسبب فرط العظم.

وإضافة " فرط " إلى " العظم" يشعر بأنَّه لا يستطيع تعدد النعم وكثرتها.

وفي البيت التاسع والخمسين يقول الشَّاعر: واستطعت أيُّها الفاضل أنْ تثني أبي عن قراره بالسير على دابته التي استطاع أنْ يكبح جماحها قائلًا:

٥٩ –رددتَ أبي بَعْد أنْ كانَ سَارَ وكَادَتْ مطيتُه أن تُزَمْ.

ويسترسل الشَّاعر في الحديث عن الممدوح بأنَّه ردَّ أباه عن القرار الذي اتخذه بقوله: " رددت" معبرًا عنه بالفعل الماضي الذي يفيد تحقق الوقوع.

وإضافة " أب" إلى "ياء المتكلم" وذلك، لأنَّ الإضافة أخصر الطرق لإحضار بعينه في ذهن المخاطبين، فالشَّاعر في أمس الحاجة إلى ذلك الأب، وفيه من استدرار العطف والشفقة ما فيه لكون الأب هو مصدر الأمن والأمان للأبناء.

والتّعبير بالفعل " كان" يفيد ترسيخ الفعل وأنَّ أبا الشَّاعر كان قد عقد العزم على الرحيل.

وقوله: " وكادت مطيته أنْ تزم" كناية عن ترحاله وسفره وهجرته إلى مكان آخر وكبح زمام دابته.

هذا والبيت تعددت فيه الأفعال الماضية "(رددت–كان–سار – كادت) مما يدل على تحقق هذه الأفعال وأنَّها من الممدوح واقعة لا محالة.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، وبينهما تناسب وتجانس ولا يمنع من الوصل مانع.

وفي البيت الستين يقول الشَّاعر: وقد وقفت حائلًا أمام إصراره على السير منفردًا وأضعفت عزيمته في الانطلاق قائلًا:

٦٠ –رددتَ إرادتَه إذ أرادَ وثبَّطتَ عَزْمَتَه إذ عَزَمْ.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن الممدوح بتكرار الفعل " رددت" الذي يشعر بمدى إصراره على السفر والترحال منفردًا.

وفي تكرار فعل الإرادة " بين المصدر في" إرادته" وبين " أراد " مما يشعر بعزم الأب على الرحيل وأنَّ هذا نابع من داخل نفسه.

والتّعبير بـ " إذ" الفجائية يوحي بأنَّه عزم على الرحيل فجأة، ولم يكن لديه ترتيب في ذلك الأمر.

ووصل بين الجملتين في قوله:" وثبطت عزيمته إذ عزم" وبين قوله:" رددت إرادته إذ أراد" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى. وفي التّعبير بلفظ" ثبط" ما يشعر بتثبيط الهمم والعزائم.

وفي التّعبير بقوله:" عزمته " ما يشعر بأنَّ أبا الشَّاعر كان لديه العزم على الترحال والتنقل. وإضافة " عزم" إلى ضمير الغائب " في قوله: " عزمته" ما يوحي بأنَّ هذه العزيمة عزيمته لا عزيمة غيره.

وفي التّعبير بـ " إذ عزم" ما يشعر بأنَّه قد عزم على السفر فجأة.

وقوله:" وثبطت عزمته إذ عزم " كناية عن فضل القاضي الفاضل على والد الشَّاعر وإقناعه بعدم السفر، وبين الشطرين مماثلة أضفت على البيت موسيقى عذبة. وقد تعددت الأفعال الماضية في البيت " رددت، أراد، ثبطت، عزم" مما يوحي بتحقق هذه الأفعال ورسوخها.

وفي البيت الحادي والستين يقول الشَّاعر: وحين أضعفت إرادته انقاد لك أيها القاضي ولم يظهر أي اعتراض قائلًا:

٦١-نَهَيتَ عزيمَته فانتهَى رسمتَ إقامَته فارتَسَمْ.

والتّعبير بالماضي في قوله:" نهيت" يوحي بانقياد الوالد انقيادًا تامًا.

وإضافة " عزيمة" إلى " ضمير الغيبة " تشعر بأنَّ هذه العزيمة خاصة به لا بغيره.

وأتى بـ " الفاء" التي تفيد الترتيب والتعقيب في قوله: " فانتهى" مما يشعر بالانقياد التام، فقد نهاه عن السفر والترحال فانقاد وانتهى عن الانتقال، وقد رسمت الفاء التي لم تترك مهلة للتفكير هذا المشهد الذي أراد الحديث عنه، وهي الانقياد التام.

وقوله: " رسمت إقامته " كناية عن انقياد الوالد وتحديد المكان للإقامة.

والفاء في قوله:" فارتسم" تشعر بمدى استجابة الوالد لما رسمه القاضي الفاضل له، وهذه الاستجابة جاءت فور رسم الإقامة له.

والتّعبير بقوله:" فارتسم" أي أنَّ أبا الشَّاعر قد انقاد للقاضي الفاضل، ولم يخرج عن حدوده التي رسمت له فلا يحيد عنها.

والبيت كله كناية عن انقياد هذا الرجل، واستجابته للقاضي الفاضل، ومدى حبه له، فلا يستطيع أن يحيد عن أوامره ونواهيه.

وفي البيت الثاني والخمسين يقول الشَّاعر: وقد حباك الله أيُّها الفاضل نعمًا كثيرة جعلتك بمنأى عن مر الحياة وكدرها قائلًا:

٦٢-ووالله مَا بك مِن حاجةٍ إلى أحدٍ من جميعِ الأُمَمْ.

يأتي أسلوب القسم في قوله:" ووالله " معبرًا بحرف القسم " الواو" ولفظ الجلالة " الله" مما يوحي بفضل القاضي الفاضل على الشَّاعر وأبيه.

والتّعبير بقوله:" ما بك من حاجة " كناية عن اكتفاء الشَّاعر وأبيه وعدم حاجته عن أي ممن حوله سوى الممدوح، وتنكير كلمة" حاجة " توحي بالتعميم فهذه الحاجة قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها معدومة ولا وجود لها.

وقوله:" إلى أحد " يوحي بعدم حاجة هذا الشَّاعر وأبيه إلى أي شخص مهما كان شأنه، كما توحي كذلك بالتقليل من شأن أي شخص يمكن أن يحتاج إليه الممدوح.

وقوله:" من جميع الأمم" تشعر بأنَّه لا حاجة له إلى أي من الخلق جميعًا، وعاون على فهم هذا المعنى التّعبير بلفظ "جميع" الذي يشعر بالعموم، وكذلك جمع الأمم وتعريفها بـ " أل " التَّعريفية التي تفيد الجنس.

وفي البيت الثالث والستين يقول الشَّاعر: وكان قرارك رحمة ألقت بظلالها علينا، ولم تعرضنا للشدائد قائلًا:

٦٣-ولكن رَقَقتَ له رحمةٌ فلو سارَ لانحط أو لانحَطَمْ.

ويواصل الشِّعر حديثه عن الممدوح بأنَّه رق لأبيه رحمة به في قوله:" ولكن رققت له رحمة "

وتقديم الجار والمجرور في قوله:" له " للاهتمام بالمقدم ،أي رققت له دون غيره.

وتنكير"رحمة" لتعظيم تلك الرحمة؛ إذ جعلت هذه الرحمة قلب يرق له ولأبيه ويشعر التّنكير كذلك بالعطف والشفقة التي ملأت قلب الممدوح تجاههما.

وعبر بالشَّرط في قوله:" فلو سار لانحط أو لانحطم" ما يشعر بأنَّه كان سببًا بعدم ترحال أبيه إلى أي مكان، ونلحظ تلاحق جواب الشَّرط لفعل الشَّرط في قوله: " فلو سار لانحط " وكان قرارك أيُّها الملك الفاضل رحمة بظلالها علينا، وكاد أنْ يتحطم بتعرضه للشدائد.

وبين" حط" و " حطم " جناس ناقص، أضفى على البيت الموسيقى العذبة الرقيقة.

وفي البيت الرابع والستين يقول الشَّاعر: وقد حرصت على وحدتنا وعدم انفراط عقد جماعتنا، بل قويت روابط المحبة والأخوة فيما بيننا قائلًا:

٦٤-وخِفتَ على عِقْدنا الانتثار لأنَّ ببقياه كان انتَظَمْ.

والكناية في قوله: " وخفت على عقدنا الانتثار" عن الوحدة وعدم انفراط عقد الجماعة. والتعبر بلفظ " الخوف" يوحي بحرصه على ربط أواصر المحبة وعدم انفراطه.

والتّعبير بلفظ " العقد" وإضافته إلى ضمير المتكلم " نا" ما يشعر بالتئام الوحدة وأنَّ هذا العقد هو عقد المحبة والود.

والكناية في قوله: " وخفت الانتثار" كناية عن فرط عقد الحماعة وقطع روابط المحبة، ثم أتى بالعلة من وراء خوفه الانتثار، وهي " لأنَّ ببقياه كان انتظم" فببقاء الأب يجتمع شمل الأسرة ويلتئم.

وقوله:" لأنَّ ببقياه كان انتظم " كناية عن أنَّ بقاء الأب فيه ربط للأواصر والعلاقات، وينتظم هذا العقد بوجوده وسط أبنائه وأهله وأحبابه.

وبين " الانتثار" وانتظم " طباق خفي، حيث يستلزم عن الانتثار عدم الانتظام، ووضح الهوة الشديدة ، والمفارقة البعيدة بين النَّظم والانتثار.

وفي البيت الخامس والستين يقول الشَّاعر: بأنَّه لو فارقك أيُّها القاضي الفاضل وفارق كرمك ونداك لكان الندم حليفه قائلًا:

٦٥-ولو كَانَ فارقَ طوعًا نداكَ لأعقَبَه في الطريق النَّدمْ.

والتّعبير بـ " لو" الشَّرطية يشعر بأنَّ أبا الشَّاعر إذا لم ينصت إليك لكان الندم حليفه مؤكدًا على ذلك بالتّعبير بـ " كان " التي تفيد رسوخ الفعل ووقوعه وتأكيده وكذلك الفعل " فارق "

وقوله:" طوعًا" يشعر بأنَّ هذا الفعل كان عن طواعية ولم يكن عن كره وعنوة وقهر، والتّعبير بقوله: " فارق نداك " كناية عن البُعد والجفاء وعدم النيل من كرم الممدوح وعطاياه الكثيرة.

ثم يأتي جواب الشَّرط متلاحقًا مع فعل الشَّرط في قوله: " لأعقبه في الطريق الندم" ليشعر بأنَّ عدم الاستجابة لأمر القاضي سيكون الندم والحسرة عاقبته.

وقدم الجار والمجرور" في الطريق" أي أنَّ الندم يصبح مصاحبًا له لا يتركه.

وفي التّعبير بقوله:" لأعقبه الندم" كناية عن الحسرة والألم التي تعقبه من عدم الاستجابة.

وفي البيت السادس والستين يقول الشَّاعر: بأنَّ القاضي الفاضل قد روى ظمأه وشدة عطشه، وجمع بينه وبين أبيه، وبرد عليه نار الفراق وحرقته.

٦٦-نقعتَ به غُلَّتي والصَّدى جمعتَ به كبدي والشَّبَمْ[١]

والتّعبير بالماضي في قوله: " نقعت وجمعت " يشعر بتحقق وقوع الفعل ، وهو أنَّ الممدوح قد روى وسقى الشَّاعر مما كان يعتليه من الحرارة والشوق وشدة احتياجه إلى أبيه

والتّعبير بقوله: نقعت به غُلتي والصَّدى" كناية عن تخفيف الممدوح لآلام الشَّاعر، وأوجاعه وشدة عطشه واحتياجه لأبيه.

وبين" الغلة " و" الصدى" مراعاة نظير، قوى المعنى وأكده، حيث إن الغلة هي شدة العطش وحرارته، والصدى هو شدة العطش والظمأ.

وفي قوله:" جمعت به كبدي والشبم" كناية عن أنَّ التئام الشمل والقرابة قد جمع الأب بأبنائه، مما يشعر بأنَّ الشَّاعر فقدَ أعظم شيء لما في وجوده من الفوائد الجمة وهي إزاحة السموم من الجسد، وأنَّ االقاضي الفاضل قد برد عليه حرقة الفراق والألم والوجع الذي ألم به.

وإضافة " كبد" إلى" ياء المتكلم" يوحي بأنَّ هذا الكبد هو كبد الشَّاعر لا غيره.

وفي البيت السابع والستين يتحدث الشَّاعر بأنَّ الممدوح جمع شمل الشاعر وأبيه وأسرته، ويضرب عن ذلك بأنَّه جمع به سقيا الغمام وكشف الغمم قائلًا:

٦٧-جمَعتَ به شَمْلَنا، بل جَمع تَ سُقْيَا الغَمَامِ وكَشْفَ الغُمَمِ[٢]

ومما يشعر بتحقق الفعل، وهو أنَّه جمع به الشمل عبر بالماضي " جمعت" الذي يفيد تأكيد الفعل ووقوعه. وتقديم " الجار والمجرور" في قوله: " به" للاهتمام بالمقدم، وهو أنَّه جمع بذلك الأب شمل الأسرة.

وقوله: " جمعت شملنا " كناية عن التئام الشمل وتماسكه بعدما تفرق وتبدد.

---

١ الغلة: غلل: الغل والغلة والغلل والغليل: شدة العطش وحرارته، اللسان ج١١ ص ٤٩٩. الصدى: العطش الشديد، ولا يكون ذلك حتى يجف الدماغ ويبس، ولذلك ينشق جلده جبهة من يموت عطشا، العين ج٧ ص ١٤٠، الكبد: واحدة الأكباد في البطن، ويقال أيضا كبد، اللسان ج٣ ص٣٧٤. الشبم: بالتحريك: البرد يقال: غداة ذات شبم، الصحاح ج٥ ص ١٩٥٨.

٢ الغمام بالفتح: السحابة والجمع غمام وغمائم، وإنما سمي غماما لأنه يغم السماء أي يسترها، اللسان ج١٢ ص ٤٤٣، ٤٤٤، والغم: واحد الغموم والغم والغمة: الكرب، لسان العرب ج١٢ ص ٤٤١.

ثم يضرب ويأتي الشَّاعر بصفة أخرى، وهي أنَّه من يرعى تلك المياه الذي يسقط بها المطر.

وفي قوله: " جمعت سقيا الغمام" كناية عن أنَّ زمام الخير بين يديه وهو يدفع الضر ويجلب الخير.

وقوله:" كشف الغمم" كناية عن دفع الضرر.

وبين " كشف" و" الغمم" طباق أوضح المعنى وأبرزه ، وقد جاء الطِّباق خادمًا للمعنى الذي استدعاه فلم يكن حلية أو زينة، بل هو من" الأمور الفطرية المركوزة في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام؛ إذ الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده كما يقولون"[1]

وفي البيت الثامن والستين يتحدث الشَّاعر، ويتوجه للقاضي الفاضل بالشكر للممدوح كما تشكر الرياض النضرة ما تجود به الديم لتحيا به الأرض وشكرها للغيث العميم تمثل في اخضرار الأرض وارتدائها أفضل اللباس والحلل قائلًا:

٦٨-وإنَّي لأشْكرُ هذا الصنيعَ كشُكر الرياضِ لصُنْعِ الدِّيَمْ[2].

ويؤكد الشَّاعر على شكره للممدوح ومدى مدحه لهذا الصنيع بالتأكيد بـ " إنَّ واسمية الجملة " في قوله: "وإنَّي لأشكر هذا الصنيع" وعاون على فهم المعنى التّعبير بالمضارع " أشكر" لاستحضار الصُّورة وتجددها، واستمرار ذلك الشكر على المدى البعيد.

والتّعبير باسم الإشارة " هذا" يشعر بتعظيم ذلك الصنيع الذي صنعه وهو جمع الشمل وسقيا الغمام وكشف الغمم، وقوله: " الصنيع " بدلًا من اسم الإشارة مما يشعر بحسن الصنيع والفعال وأنَّ له الفضل والمنة، وكمال العناية به.

وفي البيت تشبيه تمثيلي، حيث شبَّه شكر الممدوح للمِّ الشَّمل وجمع الشَّمل بشكر الرياض النَّضرة ما تجود به الديم لتحيا به الأرض وشكرها للغيث العميم تمثل في اخضرار الأرض ولبسها أحلى الحلل، فالرياض تشكر المطر الذي انتفعت به،

---

١ الصبغ البديعي في اللغة العربية أ.د / أحمد موسى، دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ -١٩٦٣م ص ٤٨١.

٢ الديمة بالكسر: مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق، القاموس المحيط ص ١١٠٨.

وصارت مخضرة بعد اكفرار، فكذلك الممدوح رد إليهم ما التئم به شملهم بعد تفرق فدبت الحياة إليهم، وهذا التَّصوير، يوحي بأنَّ ما فعله القاضي الفاضل من النَّعم قد فاضت حتى ملأت الدنيا خيرًا وسعادة حتى وكأنَّ الكل يحكي عنه ويتحاكى به، فقد دبَّت الحياة إليهم بعد أنْ تفرق شملهم وجمعهم، كما دبت الحياة إلى الأرض بعد أنْ كانت صحراء لا تنبت كلأ ولا عشب.

وعاون على الإشعار بتعدد النعم جمع " الديم" فهي ليست مرة واحدًة أو هتان من المطر، بل كان مطرًا كثيرًا مدرارًا عم بنفعه البلاد والعباد.

وفي البيت التاسع والستين يتحدث الشَّاعر عن أنَّ في نفسه شيئًا أحرق فؤاده فأصابه فيها محموما قائلًا:

٦٩-وفي النَّفس واحدةٌ أحْرَقَتْ فُؤادي فَأَصْبَح فيها حَمَمْ.

قدم الشَّاعر المسند في قوله: " وفي النَّفس" على المسند إليه " واحدة " للتشويق إلى ذكر المسند إليه حيث، يريد أن يشوق السَّامع إلى هذه الأشياء التي في النَّفس فتكون مترقبة إلى ما سيأتي بعدها فيأتي المسند إليه والنَّفس إليه متوقة ومنتظرة إلى هذا الشَّيء كيف يكون.

وقد كان لتنكير كلمة " لفظة" أثر لا يُنكر في إيضاح المعنى، ورسم المشهد، فقد أشعرت هذه اللفظة بعدم الراحة النَّفسية التي ألمت بالشَّاعر لما تحدث عليه الشَّاعر في البيت التالي مما جعله يقدم المسند ويؤخر المسند إليه.

وقد كان للنظم الأثر العظيم في إيضاح مراد الشَّاعر حين قدم الجار والمجرور في قوله: " في النَّفس" على " واحدة " مما حقق بغيته ومراده من هذا التَّقديم وهو التشويق إلى ذكر المسند إليه، وتنكير " واحدة " للإفراد والتحقير حيث إنَّ هذه الصِّفة أحرقت فؤاده فصار محمومًا.

وفي التّعبير بقوله:" أحرقت فؤادي" كناية عن الحزن والحسرة والألم الذي أصيب به الشَّاعر، وفي التّعبير بلفظ الحرق ما يشعر بالمعاناة التي تكبدها الشَّاعر لذا لم يعبر بالاشتعال وغيرها من الألفاظ لأنَّ الحرق قد مس أهم شيء في جسده وهو الفؤاد.

وفي إضافة " فؤاد " إلى " ياء المتكلم" في قوله: " فؤادي" ما يشعر بالاختصاص، فهذا الفؤاد هو فؤاده هو لا غيره مما يشعر بالألم النَّفسي الذي ألم به. وعقب بـ "

الفاء" التي لا تترك مهلة ولافرصة بأنَّ هذا الشَّيء الذي أحرق فؤاده قد أصبح بها محمومًا مريضًا فلم يدع مجالًا للتفكير والتدبير، وقدم الجار والمجرور في قوله:" فيها " على "حمم" وذلك للاهتمام بالمقدم، وأيضًا رعاية للقافية.

ثم أخذ يوضح هذا الشَّيء الذي أحرق فؤاده في البيت السبعين بقول أعاديه لولا أبوك ما كنت دخلت في زمرة القاضي الفاضل قائلًا:

٧٠-تَقولُ أعاديَّ لولا أبُوكَ لما كُنتَ تدخلُ ذاكَ الحَرَمْ.

آثر الشَّاعر التّعبير بالمضارع " تقول" لإفادة التجدد والاستمرار أي أنَّ هذا القول ما زالوا يذكرونه على مر العصور.

وأتى بلفظ " أعادي" جمعا ليوحي بكثرة هؤلاء الأعداء فليس عدوًا واحدًا وإنَّما هم كُثر. وإضافة " أعادي " إلى ياء المتكلم في قوله: " أعادي" يشعر بأنَّ الشَّاعر له أعداء يحقدون عليه ويضمرون له السوء والبغض من قربه وصلته بالقاضي الفاضل.

وعبر بـ " أداة الشَّرط " لولَّا " بقوله:" لولَّا أبوك" وجاء جواب الشَّرط " لما كنت تدخل ذاك الحرم" وحذف المسند الواقع خبرا بعد " لولَّا" في قول الشَّاعر: " لولا أبوك" والتقدير: " لولا أبوك موجود" وذلك لضيق المقام ،وهذا التّعبير يشعر بأنَّه ما كان له فضل دون أبوه صاحب الفضل والمنة.

والتّعبير باسم الإشارة في قوله: " ذاك" إشارة إلى تعظيم ذلك المكان.

والتّعبير بقوله: " الحرم" أي المكان الذي به الممدوح.

ويواصل الشَّاعر حديثه عن قول الأعادي له بأنَّه كان القصيَّ والبعيدَ، وأنَّه كان الشَّاعر من العالم المتهضم ولم يكن له. ذكر قائلًا:

٧١-وكنتَ القَصيَّ وكنت البعيدَ وكنتَ من العالَم المُتَهضمْ[1]

وعبر بضمير الخطاب أكثر من مرة في قوله: " وكنت " لأنَّه يحرص على أنْ يبرز ما كان عليه ومعاناته وما تكلف من مشقة وتعب وهم يتهمونه بهذه التهم بأنَّ الشَّاعر كان القصي والبعيد وكان من العالم المتهضم الذي لم يكن له ذكر.

---

١ هضمه يهضمه هضما واهتضمه وتهضمه: ظلمه وغصبه وقهره، والاسم الهضيمة. ورجل هضيم متهضم: مظلوم، اللسان ج١٢ ص ٦١٣.

وعَّبر بالمسند إليه ضميرًا للإشعار بأنَّ المقام مقام خطاب وتكرارها يؤكد هذا المعنى من البعد والإقصاء، والخطاب لمعين.

والتّعبير بالمسند مقترنًا بـ " أل " في قوله: " القصي " و " البعيد" للإشارة إلى أنَّه المعهود بالإقصاء دون غيره، وواضح أنَّ الشَّاعر يستطيع الاستغناء عن هذه الضمائر التي كررها في البيت، ولكنَّ إحساسه بهذه التهم لا تكفيه أنْ يذكر هذه الأشياء غير مستندة كل واحدة منها استنادًا مستقلًا ليكون في ذلك تقرير وإبراز لها.

ووصل بين الجمل لما بينها من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجمل في الخبرية لفظًا ومعنى، فقد عبَّر الشَّاعر بهذه الجمل معطوفًا بعضها على بعض ليشعر بأنَّ هذه الأشياء قد تحققت فيه على ألسنة هؤلاء الأعادي.

وبين "القصي" و "البعيد" مراعاة نظير، ساعدت على تقوية المعنى وتأكيده فكان لها الأثر البالغ في ائتلاف الألفاظ وتناسبها وتناسقها، وهذا مما يدل على تنوع أساليب الشَّاعر وسعة موروثه اللغوي بتنسيق الألفاظ وترتيب معانيه.

والتّعبير بـ "القصي" و "البعيد" وكأنَّي بالشَّاعر يؤكد على معنى البعد والإقصاء حيث إنَّ البعد هو الإقصاء.

وقوله:" من العالم " يشعر وكأنَّ الشَّاعر كان من عالم آخر غير الذي وهبه له القاضي الفاضل. ووصف " العالم" بـ " المتهضم" يشعر وكأنَّه يعاني الظلم ويكابده.

ويواصل الشَّاعر الحديث عن القاضي الفاضل بأنه كيف يقول الأعادي عما وصل إليه ابن سناء من عظم الشأن، وبأن الأجل يراه الأقل وإنْ كان ممن يجيد الكتابة والقراءة قائلًا:

٧٢-وإنَّ الأجلَّ يراك الأقَلّ ولو كُنتَ ممَن رَقَى أورَقَمْ.[١]

والتّعبير بـ " إنَّ واسمية الجملة في قوله:" وإنَّ الأجل يراك الأقل " ر يشعر بقلة شأن الشَّاعر وهوانه من وجهة نظر الأعادي، وعاون على فهم هذا المعنى التّعبير بالفعل

١ رقى ورقى فلان في الجبل يرقى رقيا إذا صعد، اللسان ج١٤ ص ٣٣١، رقم: الرقم والترقيم: تعجيم الكتاب ورقم الكتاب يرقمه يرقمه رقما أعجمه وبينه، الرقم الكتابة والختم، اللسان ج١٢ ص ٢٤٨، ٢٤٩.

المضارع " يراك" الذي يشعر بتجدد الصُّورة واستمرارها، وأنَّ هذه النظرة ما تزال مصاحبة له رغم علو شأنه ونسبه العريق.

ويأتي الطِّباق الخفي بين " الأجل" و " الأقل " حيث، يستلزم من القلة معنى التحقير والإهانة التي هي ضد الأجل الذي يعني العظم وعلو الشأن والمكان، وهذا الطِّباق أبرز المعنى ووضحه، وبيَّن الهوة البعيدة والمفارقة الشديدة بين الأمرين.

وقد تعانق مع الطِّباق الجناس اللاحق بين اللفظتين، وذلك لأنَّ الكلمتين غير متقاربتي المخرج، وهذا الجناس أضفى على البيت الموسيقى العذبة.

والتّعبير بقوله: " ولو كنت ممن رقى ورقم " يشعر بمدى قلة شأن الشَّاعر مهمًا كان من ذوي الأصول وأصحاب الأقلام التي تكتب وتشعر والذين ذاع صيتهم وشهرتهم.

وأكد المعنى التّعبير بالفعل " كان " الذي يفيد رسوخ الفعل وتأكيده، واتصال ضمير الخطاب بالفعل وذلك لأنَّ الشَّاعر أراد أنْ يشرك المخاطب في الحال التي وصل إليها وإحضاره بعينه وكأنَّه موجود حاضر مشاهد.

واسم الموصول:" من " لتعظيم شأنه وعلو مكانته، فالممدوح له شأن مرموق ومكانة عظيمة لا تخفى على أحد، واسم الموصول يجعل المتلقي في تشويق إلى معرفة الصلة فيأت الخبر متناسقًا مع الصلة.

هذا وقد أضفى الجناس النَّاقص بين " رقم " و"رقى " على البيت الموسيقى العذبة التي تهتز لها الأذن ويهز لها الوجدان.

والأفعال الماضية " كنت، رقى، رقم " تدل على رسوخ هذا الأفعال، وتحققها، وتأكيدها بالنسبة للشَّاعر فهو ممن علا نسبه، وهو كذلك من أصحاب الأقلام التي تكتب ويذاع صيته بين الناس يعرفه القاصي والداني.

وعاون على فهم هذا المعنى الفعلين "رقى" و " رقم" فالفعل " رقى يدل بمادته على العلو والسمو، والفعل رقم يدل بمادته على كتابة الحروف.

وفي البيت الثالث والسبعين يواصل الشَّاعر حديثه عن الصلة التي تربط الشَّاعر بالممدوح وقول الأعادي عنه بأنَّ فعله يعد عيبًا وقصده إليه يذم قائلًا:

٧٣ –وما زالَ فعلك منه يُذَامُ وما زالَ قَصدُك منه يُذَمْ.[١]

التّعبير بالفعل " ما زال " يشعر باستمرار هذا الفعل الذي يُذام عليه، وقد كرر الفعل مرتين، وذلك للدَّلالة على التأكيد وتقوية الحكم وتثبيته، وهذا التِّكرار أحدث إيقاعًا داخليًا في البيت، فساعد على تأكيد الفعل وتقريره في النَّفس مما جعل المتلقي يتأثر بتلك الصُّورة فقد حرص الشَّاعر على رغبته في أنْ يلقي الضوء على كلام هؤلاء الذين يتهمونه بذلك، وكأنَّه يُشير من طرف خفي إلى أنَّ كلام هؤلاء قد أجهد الشَّاعر وجعله يذكرهم بما قالوه عنه.

وإضافة " الفعل" إلى " كاف الخطاب " في قوله:" فعلك" للتحقير من شأن هذا الفعل والتهوين من شأنه"

وقوله:" يذام" يشعر بالهوان والتقليل والتحقير من هذا الفعل حيث عد عيبًا ينتقص منه على الدوام.

والتّعبير بالفعل المبني للمجهول" يُذام" يشعر بأنَّ القائلين معهودون ومعروفون لدى الشَّاعر، فهم من يتهمونه بقربه لدى الممدوح لأجل منصب أو جاه، فبناء الفعل للمجهول إشارة إلى القصد إلى وقوع الفعل لهم لا لبيان الفاعل للإشارة إلى أنَّ الذم لم يصدر من الممدوح أما هؤلاء فهم من اتهموه بذلك.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، فالشَّاعر مازالت أفعاله تُذام وما زال قصده يذم، فأفعاله ومقصده لدى الممدوح ماهي إلا قربة لأجل حاجة يقصدها منه الشَّاعر، ولكن الشَّاعر لم يكن هذا مقصده، ولكن ما هي إلا محبة الشَّاعر جعلته يقترب منه.

ثم كرر الفعل " مازال " للإشعار بأنَّ هذا القول مستمر وأنَّ وراء هذه الصلة مقصد يقصده الشَّاعر.

وإضافة " قصد" إلى " ضمير الخطاب " في قوله:" قصدك" يشعر بأنَّ لدى الشَّاعر مطلبًا وعلة لهذه الصلة.

---

١ الذيم والذام: العيب، والذم، ذامه يذيمه ذيما وذاما، فهو مذيم ومذيوم، القاموس المحيط ص ١١١٠. ذمم: الذم نقيض المدح ذمه ذما ومذمة فهو مذموم وذم، اللسان ج١٢ ص ٢٢٠.

وعاون على فهم هذا المعنى الفعل المبني للمجهول" يذم" الذي يشعر بأنَّ الغاية التي يريدها الشَّاعر مذمومة قبيحة من وجهة نظر أعدائه، وبناء الفعل للمجهول للإشارة إلى أنَّ " الذم " صدر عن قولهم وليس من الممدوح، وهذا يدل على أنَّ الكلام لم يصدر من القاضي، ولكنَّه من هؤلاء المبغضين.

وقد أضفى المحسن البديعي التَّصريع مع الموازنة بين الشطرين موسيقى عذبة تطرب لها الأذن ويهز لها الوجدان.

المقطع السادس: رد العواذل والجاحدين.

٧٤-ومَا أنتَ مِن جِنسِ مَن يُصْطَفَي ولا أنتَ مِنْ نَوع ما يُحْترمْ

٧٥-ولَيسَ لِذاتِك ذَاكَ القَبُولُ ولَيسَ لنَفْسِك ذَاكَ القَدَمْ

٧٦-ولكنْ أبُوكَ لَه خِدْمَةٌ دَخلتَ بها في غِمَارِ الخَدَمْ

٧٧-وأحسبُ أنَّهُم يكذبون وهَلْ يَصدقُ الحاسدُ المتَّهمْ؟

ويسترسل الشَّاعر في الحديث عن قول الأعادي في البيت الرابع والسبعين بأنَّه ليس ممن يصطفيهم الممدوح ولا ممن يحترمهم قائلًا:

٧٤-وما أنتَ من جِنس من يُصطَفى ولا أنتَ من نَوع ما يُحْترم.

ويستخدم الشَّاعر أسلوب النفي، ويكرره في الشطرين ليؤكد قول هؤلاء الحاقدين المبغضين أنَّه ممن لا يكون لهم الاصطفاء والاحترام.

والتّعبير بضمير الخطاب في قوله: " وما أنت " وقوله: " ولا أنت " يوحي بأنَّ الشَّاعر ليس ممن يكون له الاصطفاء والخيرة حتى يكون له من الحب والدنو لدى الممدوح، وكأنَّه يشعر من طرف خفي أنَّ الشَّاعر ليس ممن ينال تلك المنزلة وهذا الوضع الذي عليه، كما أنَّ التّعبير بهذا الضمير يجعل المخاطب وكأنَّه موجود في ساحة الحضور، وكرر الضمير رغبة في إطالة الكلام وبسطه في مقام المدح إذ يتأتى من الشَّاعر ألَّا يكرره والاستغناء عنه ، ولكنَّه ذكره وكرره للتأكيد على أنَّ هذا القول الذي وقع من هؤلاء ما هو إلا تعبير عن كلامهم الذي يخفي وراءه الحقد والضغن الذي يكنونه تجاه الشَّاعر.

وضمير المخاطب هنا لمعين عبر عنه الشَّاعر ويقصد به نفسه.

وقوله:" من جنس" يشعر بأنَّ الشَّاعر ليس من هؤلاء الذين يُشار إليهم بالبنان.

وقوله: يُصطفى " بالبناء لما لم يسم فاعله أي لست ممن يكون لهم الاصطفاء والاختيار، ولا يليق بك هذه المكانة السامقة التي وصلت إليها.

وفي إيثار لفظ " الاصطفاء " دون غيره ما يسمى " ائتلاف اللفظ مع المعنى " وهو أنْ تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له" [1]

وعبر بـ " من " وذلك للتحقير والتقليل من شأن الشَّاعر من وجهة نظر هؤلاء الذين يرون أنَّه لا يستحق هذا الشرف وتلك المكانة. وقوله: "من نوع " يوحي بقلة شأنه وتهوينه وتحقيره وأنه لا يستحق تلك المكانة والمنزلة.

وقرن قوله:" يصطفى بـ "من "ومع يحترم بـ " ما" في قوله: " ما يحترم " وكأنَّه ليس ممن يحترموا، إشارة إلى أنَّه ممن لا يعي ولا يعقل حتى يكون له الاحترام والهيبة.

وقوله: ولا أنت من نوع ما يحترم " كناية عن عدم الانتباه إليه وأنَّه لا يكن له الاحترام وكأنَّه يشير من طرف خفي إلى أنَّه ليس من جنس البشر الذين يستحقون التمييز والاحترام وأن يكون له الخيرة والاصطفاء.

وبناء الفعلين" يُصطفَى " و" يُحترَم" ما يشعر بأنَّ من قال هذا القول ما هم إلا مبغضون حاقدون لا يريدون له الخير.

ووصل بين الشطرين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، ولا يوجد ما يمنع الوصل.

وفي البيت الخامس والسبعين يقول الشَّاعر: بأنَّه ليس له من القبول وليس من الرفعة بمكان حتى ينال تلك المكانة قائلًا:

٧٥-وليس لذاتِك ذاك القَبُولُ وليس لنَفسِك ذَاكَ القَدَمْ.

عبَّر الشَّاعر بأسلوب النفي في قوله:" وليس لذاتك ذاك القبول" أي ليس له من القبول فهو غير مقبول لذاته وشخصه، وهذا إنْ دلَّ يدلُ على مدى الحقد والبغض الذي يكنه هؤلاء الناقمين على ما أنعم الله به على الشَّاعر.

وقوله:" لذاتك " والتّعبير بالذات للدَّلالة على شخص الشَّاعر وذاته لا ذات غيره.

وإضافة اسم الإشارة "ذا" إلى ضمير الخطاب في قوله:" ذاك" لتعظيم القبول الذي حبي به لدى القاضي حيث جعل له من القبول ما أثار حفيظة هؤلاء الحاقدين

---

١ الطِّراز للعلوي ج٣ ص ١٤٤، وجواهر البلاغة ٢٣٢.

المبغضين. وتعريف " القبول " بـ " أل التَّعريفية " أي القبول المعهود المعروف الذي يعهده ويعرفه القاصي والداني.

ويكرر الشَّاعر النفي في الشطر الثاني بقوله:" وليس لنفسك ذاك القدم" ، ليؤكد الفكرة التي أراد تثبيتها في الذهن، وهي أنَّ قول الأعادي كيف يكون له القبول وهذه المكانة والرفعة التي وصل إليها.

وإضافة " النَّفس" إلى " كاف الخطاب" في قوله: " لنفسك" إشارة إلى ذات الشَّاعر وأنَّ هذه النَّفس نفسه لا نفس غيره.

والتّعبير باسم الإشارة في قوله:" ذاك "؛ لتعظيم المشار إليه وهو الشَّاعر والمكانة التي وصل إليها، ومما عاون على فهم هذا المعنى التّعبير بكلمة " القدم"

وبين الشطرين موازنة وتفويف، حيث جاءت الجمل متساوية المقادير، معطوف بعضها على بعض لما بينهما من التَّناسب بين الجمل، وكذلك لما بينها من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

ويسترسل الشَّاعر في حديثه عن هؤلاء المبغضين الحاقدين بأنَّ أباه له خدمة دخل بها في غمار من يخدمون الممدوح قائلًا:

٧٦-ولكن أبوكَ له خِدمَةٌ دخلتَ بها في غِمَارِ الخَدَمْ.

ويستدرك الشَّاعر بأنَّ أباه له خدمة بقوله:" ولكن أبوك له خدمة" وهذه الخدمة كانت سببًا في دخوله في غمار الخدم.

وتقديم الجار والمجرور في قوله:" له " على " خدمة" للاهتمام بالمقدم والعنايه بشأنه. وتنكير" خدمة " لتعظيم تلك الخدمة التي قدمها الممدوح.

وفصل بين جملة "دخلت بها في غمار الخدم " عن جملة " ولكن أبوك له خدمة" لكونها توضح وتفصح عن هذه الخدمة ولكونها بدلًا عنها.

والتّعبير بصيغة الماضي " دخلت" يشعر بتحقق فعل الدخول في غمار الخدم.

والتّعبير بالجار والمجرور " بها " إشارة إلى الخدمة التي قدمها للممدوح.

وبين " خدمة" و" الخدم" جناس، أضفى على البيت رونقًا وبهاء، وأضفى على الكلام موسيقى عذبة مؤثرة، فالجناس له دور في إبراز المعنى، وجذب انتباه المتلقي بالعبارات التي تحمل موسيقى داخلية تحمل على الميل والإصغاء.

وبين الشطرين رد للأعجاز على الصدور، فالتِّكرار الذي أضفاه هذا المحسن على البيت نوعًا من التقرير.

وفي البيت السابع والسبعين يتحدث الشَّاعر عن هؤلاء المبغضين بأنَّهم يكذبون ويسأل متعجبًا منكرًا لهم بقوله: وهل يصدق الحاسد المتهم؟ قائلا:

٧٧-وأحسبُ أنَّهم يكذبُون وهَل يّصدقُ الحاسد المتَّهم؟!

ويواصل الشَّاعر حديثه عن مدى كذب هؤلاء المالقين بأنَّهم كاذبون في دعواهم بقوله:" وأحسب أنَّهم يكذبون" والتّعبير بالفعل المضارع " أحسب" يشعر بتجدد الفعل واستمراره.

وأكد الكلام بـ " إن واسمية الجملة " في قوله:" أنَّهم يكذبون" للدَّلالة على كذبهم وافترائهم. وقوله: " يكذبون " يشعر باستمرار الفعل وتجدده.

والاستفهام بقوله: " وهل يصدق الحاسد المتهم؟! للإنكار المشوب بالتعجب.

والتّعبير بالأفعال المضارعة " وأحسب، يكذبون، يصدق" للإشعار بتجدد الفعل واستمراره.

المبحث السابع: رجاء وأمل

٧٨-وحَاشَـــا لمَجـــدكِ مـــن أنْ أُضَـــام بـــأني إلـــى غيـــر ذاتـــي أُضـــمْ
٧٩-وقـــد كَـــذَبُوا أنـــتَ لـــي واصِـــفٌ بحُسْـــن الفِعَـــال وحُسْـــن الفَهـــمْ
٨٠-وكُتبُـــك تَشْـــهد أنَّـــي الحَبيـــبُ وأنَّـــي الأخـــصُّ وأنَّـــي الأَعـــمْ
٨١-أبـــى بـــي سَـــارَ اســـمُه فـــي الـــبلاد وجَـــابَ الوِهـــادَ بهـــا والأَكَـــمْ
٨٢-وأحْيَيـــتُ أسْـــلافِي الأَقـــدمين فقـــاموا وهـــم يَنفُضُـــون اللِّمَـــمْ

وفي البيت الثامن والسبعين يتحدث الشَّاعر بأن مجده لن يضام قائلا:

٧٨-وحَاشَا لمجدِك من أن أُضَام بأنَّي إلى غير ذَاتِي أُضَمْ.

في قوله: "وحاشا لمجدك من أن أضام" كناية عن عدم ظلمه للناس.

وإضافة "مجد" إلى " كاف الخطاب" في قوله:" لمجدك " يشعر بعلو الشأن والرفعة وأنَّ للممدوح مجدًا لا يُنكر.

والتّعبير بقوله:" من أن أضام" يشعر بأنَّ الشَّاعر لم يظلم عند الممدوح.

وأكد على هذا الكلام بـ " إنَّ واسمية الجملة " في قوله: " بأنَّي إلى غير ذاتي أُضم" وإضافة " ذات " إلى "ياء المتكلم" يشعر بالاختصاص وأنَّها ذاته هو وليست ذات غيره.

وقد تعانق الجناس بين " أضم" و" أضام" وكذلك رد الأعجاز على الصدور على البيت موسيقى عذبة هامسة، وفي هذا تأكيد للمعاني وتقريرها، وذلك لأنَّ اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السَّامع ويتقرر، فضلًا عن أنَّه يضفي على كلامه نوعًا من الخلابة والسحر من خلال هذا المحسن البديع.

وفي البيت التاسع والسبعين يتحدث الشَّاعر عن هؤلاء المبغضين الكاذبين ويظهر مدى كذبهم بأنَّ الشَّاعر كان واصفًا له بحسن الفعال وحسن الفهم. قائلا:

٧٩-وقد كَذبُوا أنت لي واصِفٌ بِحُسنِ الفِعال وحُسْن الفَهمْ.

عبر بالفعل الماضي المقترن بقد في قوله:" وقد كذبوا" ليدل على مدى تحقق الفعل فيهم.

ويخاطب الممدوح بضمير الخطاب" أنت " بدلًا من ضمير الغيبة، للإشعار بأنَّه حاضر في الذهن دائما لا يغيب، وكأنَّه ماثل أمامه لا يفارقه فيخاطبه، ويحادثه دون

أي عوائق، ولقد أحسن الشَّاعر في استخدامه لضمير الخطاب، ليصور اعتزازه بممدوحه وثقته بها.

وتقديم الجار والمجرور في قوله:" لي " للاهتمام بالمقدم.

وتنكير المسند " واصف" للإشعار بتعظيم ذلك الواصف الذي وصفه للشَّاعر بأنَّه حسن الفعال وحسن الفهم.

ووصفه بـ "حسن الفعال وحسن الفهم " يشعر باتصافه بهذه الصفات، وهي اتصافه بالصفات الحميدة التي يفاخر ويتباهى بها ومن هذه الصفات حسن الفعال، وحسن الفهم.

وفي البيت الثمانين يتحدث الشَّاعر بأنَّ رسائل وكتب الممدوح للشَّاعر تشهد بأنَّ المحبوب لديه فهو يجمع بين الأخص والأعم.

٨٠-وكُتبُك تشهد أنَّي الحبيبُ وأنَّي الأخصُّ وأنَّي الأعَم.

وفي إضافة " كتب" إلى " كاف الخطاب" في قوله:" كتبك" لتعظيم شأن تلك الكتب والرسائل التي كتبها له. والفعل المضارع " تشهد" يشعر بتجدد الفعل واستمراره.

ثم يوضح هذه الشهادة التي شهدها له الممدوح بأسلوب التأكيد بقوله:" أنَّي الحبيب" مما يدل التّعبير بالجملة الاسمية على تأكيد هذا الحب وتثبيته، وعاون على فهم المعنى تعريف المسند" الحبيب" بـ " أل" التي تشعر بأنَّه المحبب لدى القاضي.

ووصل بين قوله:" وأنَّي الأخص " و" أنَّي الحبيب" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى.

ويؤكد على هذا الحب وهذا الإخلاص ومكانته السامقة الرفيعة بقوله:" وأنَّي الأخص وأنَّي الأعم" مؤكدًا الكلام كذلك بإنَّ واسمية الجملة في قوله:" وأنَّي الأخص وأنَّي الأعم "

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى. وبين " الأخص" و" الأعم" طباق أوضح المعنى وأبرزه، وبين الهوة البعيدة والمفارقة الشديدة بينهما.

وكرر أسلوب التأكيد بإنَّ والجمل الاسمية؛ ليؤكدعلى أهمية الشَّاعر عند القاضي الفاضل فهو من له الأفضلية من حيث كونه الأخص والأعم، فهو يتميز بمكانة خاصة عند القاضي الفاضل.

والتّعبير بأفعل التفضيل واختياره لهذه الصيغة يشعر بالأفضلية، وأنَّ الشَّاعر يحتل في قلب الممدوح مكانة خاصة عالية لا يدانيها فيها أحد.

وفي البيت الواحد والثمانين يتحدث الشَّاعر بأن الممدوح سار اسمه في البلاد وجاب الأماكن السهلة والوعرة والمنخفضة والمنبسطة. قائلا:

٨١-أبي بي سَارَ اسمُه في البلادِ وجَابَ الوِهادُ بها والأكَمْ.[١]

إضافة " الأب" إلى "ضمير المتكلم" في قوله:" أبي " يشعر بتشريفه وتعظيمه.

والتّعبير بصيغة الماضي " سار" يدل على تحقق الفعل وتأكيده.

وإضافة " اسم" إلى " ضمير الغائب " في قوله:" اسمه" يشعر بعلو مكانته وسمو منزلته.

والتّعبير بقوله:" جاب الوهاد بها " كناية عن سيره في الأماكن السهلة والأماكن الوعرة الصعبة، وهذه الكناية تنبئ عن شهرته التي طبقت الآفاق.

وجمع" البلاد" للعموم والتنوع فقد جاب البلاد شرقها، وغربها، سهلها، ووعرها.

والتّعبير بـ "الأكم" يشعر بوعورة هذه الأماكن، وأنَّه قد اجتاز الأماكن الوعرة الصعبة التي يصعب السير فيها، وعاون على فهم هذا المعنى الإتيان بها جمعًا.

وحذف الفعل " جاب" من الجملة الثَّانية " والأكم" لدلالة الفعل الأول عليه.

المقطع الثامن: فخر بالنفس والأهل.

٨٢-وأحْيَيتُ أسْلافِي الأَقدمين فقاموا وهم يَنفُضُون اللِّمَمْ

٨٣-وهم وأنا بِكَ حُزْنَا الفَخَار وَصَارَتْ لنا في البَرَايا قِيَمْ

---

١ جاب البلاد يجوبها جوبا: قطعها سيرا، اللسان ج١ ص٢٨٥، الوهاد. الوهدة: المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة، اللسان ج٣ ص٤٧١.

الأكم: الأكمة القف من حجارة واحدة، وقيل: هو دون الجبال، وقيل هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا، اللسان ج١٢ ص٢١.

٨٤-بقيـــتَ ويَبْلـــى الزَّمـــانُ الجَديـــدُ وَتبَّـــا لمَـــذْهبِ أَهْـــلِ القِـــدَمْ
٨٥-فَـــلَا بُـــدَّ أنْ تَمُـــورَ السَّـــماءُ ويَـــذْوِي بهـــا كُـــلُّ نَجْـــم نَجَـــمْ
٨٦-ويَظْهـــرُ فـــي الفَرقَـــدَيْنِ العَمَـــى كَمَـــا بَـــانَ فـــي الهَـــرَمينِ الهَـــرَمْ
٨٧-ولـــيسَ السَّـــماءُ كَمَـــا قَـــدْ رَأَيْـــت بالشُّـــــهبِ إلَّا أديـــــمَ حَلَـــــمْ

وفي البيت الثاني والثمانين يوضح الشَّاعر بأنَّ الممدوح كان له الفضل في إحياء الأقدمين فإذا بهم ينفضون كل ما وراءهم.

٨٢-وأحيَيتُ أسلافيَ الأقدمين فقَامُوا وهُم يَنفُضُون اللِّمَمْ.

عبَّر بالفعل المضارع " أحييت" ليوحي بتجدد الفعل واستمراره، ويوحي كذلك بشرف أسلافه الأقدمين.

وجمع " أسلاف" يوحي بكثرتهم وتعددهم فلم يكن واحدًا، بل كانوا كثرًا. والتّعبيربلفظ "السلف " ووصف الأسلاف بـ " الأقدمين" يوحي بأصالتهم.

والتّعبير بقوله:" وأحييت أسلافي الأقدمين" كناية عن رفعة هؤلاء الأسلاف الأقدمين وإحيائه لهم.

وعبر بـ " الفاء" التي تفيد التعقيب ولا تترك مهلة للمخاطب أن يفكر أي أنَّ هؤلاء الأسلاف عندما أحياهم الشَّاعر قاموا تاركين كل شيء خلفهم، وعاون على فهم هذا المعنى التّعبير بالفعل الماضي الذي يفيد التحقق والتأكيد.

والتّعبير بضمير الغائب" وهم" أفاد تقوي الحكم وتقريره في ذهن السَّامع، فأراد تقرير الحكم، وسبب تقويته هو أنَّ المبتدأ يستدعي أن يستند إليه شيء، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه، "ومما يدل على أنَّ التَّقديم يفيد التأكيد أنَّ هذا الضّرب من الكلام يجئ فيما سبق فيه إنكار فاستعمل في المدح والافتخار لأنَّ من شأن المادح أن يمنع السَّامعين من الشك"[1]

وهذا التأكيد من خلال ذكر الضمير مرة وإعادته مرة ثانية.

والتّعبير بالفعل المضارع "ينفضون " ليشعر بتجدد الفعل واستمراره.

---

١ دلائل الإعجاز ص ١٣٤، ١٣٥.

وتتضح الكناية في قوله:" وهم ينفضون اللمم" وكأنَّه يشعر بأنَّهم بعد إحياء مجدهم نهضوا بأنفسهم فقاموا وهم يتركون كل أثر سيء خلفهم لا يأبهون به فتركوا صغار الأمور ورذائلها.

وقوله: " ينفضون اللمم" تصوير، حيث صور اللمم بشيء ينفض، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التَّصوير يشعر بتركهم للذنوب وصغائر الأشياء.

وفي البيت الثالث والثمانين يتحدث الشَّاعر بأنَّه وغيره قد حاز الفخار لما منحه القاضي الفاضل له وصار له بسببه في البرايا قيم. قائلا:

٨٣-وهم وأنا بِك حُزنَا الفَخَارَ وصَارت لنا في البَرايَا قِيَمْ.

ويعبر الشَّاعر بضمير الغيبة في قوله: "هم" لأنَّ المقام مقام غيبة، وقدم ضمير الغيبة هنا للاهتمام بالمقدم، وهم الأسلافون الأقدمون الذين أحيا ذكرهم الشَّاعر.

ووصل بين الضميرين وكأنَّه يريد مشاركته لهم في هذا الفخر والنسب.

والجار والمجرور في قوله:" بك" للاهتمام بالمقدم مما يشعر بتعظيم الممدوح.

وقوله:" حزنا الفخار" كناية عن الشرف والرفعة التي حازها هؤلاء والشَّاعر معهم بالفضل الذي ناله هؤلاء جميعًا.

وعبر بضمير التكلم "أنا" للدَّلالة على أنَّ الشَّاعر قد حاز الفخار هو الآخر بصلته بالممدوح، فهو في مقام الاعتداد بالنفس والثقة، والاعتزاز وذلك لأن المقام مقام تكلم.

واقتران " الفخار" بـ " أل " التي للعهد أي، أنَّ هذا الفخار معهود معروف لا ينكره أحد. ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

ومما يؤكد ويعاون على فهم المعنى التّعبير بالماضي في الأفعال" حُزنا وصارت"، حيث تدل هذه الأفعال على تحققها، وأنَّ الفخار قد تحقق فيهم. والتّعبير بضمير التكلم " أنا "هو السمة الغالبة على البيت كما نرى، وكأنَّه يشير بأنَّ الفخر والقيمة التي حازها الشَّاعر هو ومن معه فضلًا عما أفاده ضمير التكلم من اعتزاز الشاعر بنفسه.

وتنكير كلمة " قيم" لتعظيم تلك القيم، فهي القيم التي تعلمها من الممدوح ثم صار له وضع وشأن بين الخلق جميعًا، وعاون على فهم المعنى جمع الكلمة.

وعبر بـ "البرايا"، وذلك لـ" أنَّ قولنا: "برية" يقتضي تميز الصُّورة وقولنا:" الناس" لا يقتضي ذلك؛ لانَّ البرية فعليه من برأ الله الخلق أي ميز صورهم، وترك همزة كما لكثرة الاستعمال تقول هم الحابية والذرية وهي من ذرء الخلق، وقيل أصل البرية البري وهو القطع وسمي برية؛ لانَّ الله ﷻ قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم، وذكر أنَّ أصلها من البري وهو التراب، وقال بعض المتكلمين: البرية اسم إسلامى لم يعرف في الجاهلية، وليس كما قال لانَّه جاء في شعر النابغة وهو قوله: قم في البرية فاحذرها عن الفند "[1].

٨٤-بقيـــتَ ويَبْلـــى الزَّمـــانُ الجَديـــدُ وَتبَّـــا لمَـــذْهبِ أَهْـــلِ القِـــدَمْ
٨٥-فَـــلَا بُـــدَّ أنْ تَمُـــورَ السَّـــماءُ ويَـــذْوِي بهـــا كُـــلُّ نَجْـــم نَجَـــمْ
٨٦-ويَظْهـــرُ فـــي الفَرقَـــدَيْنِ العَمَـــى كَمَـــا بَـــانَ فـــي الهَـــرَمينِ الهَـــرَمْ
٨٧-ولـــيسَ السَّـــماءُ كَمَـــا قَـــدْ رَأَيْـــت بالشُّـــــهبِ إلَّا أديـــــمَ حَلَـــــمْ
٨٨-ونجْمُـــك فـــي كُـــلِّ ذَا لَا هَـــوَى وزُكنُـــك فـــي كُـــل ذا لا انهـــدمْ
٨٩-تَـــدومُ ويقســـم فينـــا نـــداكَ فأمـــا عُـــلاكَ فمَـــا يُقتَسَـــمْ
٩٠-وأربعـــةٌ فـــي ممـــا وهَبـــت نَفْـــسٌ وروحٌ ولحـــــمٌ ودَمْ

وفي البيت الرابع والثمانين يتحدث الشَّاعر ويتمنى بقاءه، ويبلى الزمان الجديد وتبا لمذهب أهل القدم.

يصف الشَّاعر مجد الممدوح ويرجو له البقاء الدائم، ويشير إلى مذهب الحكماء القاضي بقدم أربعة أشياء هي الزمان، والمكان ،والهيولي (وهي كلمة يونانية تعني المادة وهي واحدة في جميع الأشياء في الجماد والنبات والحيوان وإنَّما تختلف الأشياء في الصُّورة فقط) والصُّورة وقد قال أفلاطون بقدم النَّفس وبرهن أرسطو على حدوثها والصحيح أنَّ العالم حادث، فالشَّاعر يريد أن يضيف ممدوحه إلى ما يبقى (وليس ثمة إلا وجه الله) وأن يكذب الفلاسفة فيما قالوا فممدوحه يبقى على حين يفنى الزمان الذي وصفه هؤلاء بالقدم، ولعله بذلك بقاء الذكر وخلود الذكرى.

عبَّر بصيغة الماضي في قوله:" بقيت" وهي خبرية لفظًا إنشائية معنى وهي الدعاء له بالبقاء وطول العمر. قائلًا:

---

١ الفروق اللغوية ص٩٨.

٨٤-بَقيتَ ويبلى الزمانُ الجديد وتبًّا لمذهبِ أهلِ القِدمْ.

والتعبير بقوله:" ويبلى الزمان الجديد" كناية عن انتهاء هذا الزمان الذي قال به هؤلاء الفلاسفة من أنَّ العالم قديم.

وفي التّعبير بقوله:" بقيت ويبلى الزمان الجديد" مبالغة حيث، أثبت الشَّاعر للممدوح صفة البقاء، وهذه المبالغة مردودة لا يقبلها عقل ولا عادة وليس ثمة إلا وجه الله فهو الباقي لقوله تعالى: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" فقد خرج الشَّاعر عن الحقيقة الواقعة وأثبت لممدوحه صفة البقاء السرمدي.

وقوله:" ويبلى الزمان الجديد " جملة خبرية لفظًا إنشائية معنى والمراد بها الدعاء على أهل هذا الزمان بالفناء والهلاك.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التَّناسب بين الجمل، فقد عطف بين الجمل لوجود المناسبة بينهما، فبينما يبلى الزمان الجديد كذلك يهلك مذهب أهل القدم الذين قالوا بقدم الزمن.

ثم يدعو على مذهب أهل القدم بالتب والهلاك في قوله:" وتبًا لمذهب أهل القدم فقد عبَّر باسم المصدر" تبًا" والمراد به الهلاك والدعاء عليهم بالهلاك والفناء. وإضافة "أهل" إلى " القدم" يشعر بتحقير هؤلاء ومذهبهم الذي يقولون بقدم العالم.

وبين قوله:" يبقى" و" يبلى " طباق خفي، حيث إنَّ البلاء يستلزم عنه الفناء الذي هو ضد البقاء، ووصف الزمان بـ " الجديد" يشعر بتحقير هذا الزمان الذي وصفه الفلاسفة وهم كاذبون فيما قالوا.

وفي البيت الخامس والثمانين يقول الشَّاعر أنَّه لا بد من مور السماء وجريانها ويختفي منها كل نجم ظهر. قائلا:

٨٥-فَلا بُد أن تمورَ السَّماءُ ويَذوِي بها كلُّ نجم نَجَمْ.[١]

---

١ مار: جري وما يمور إذا جعل يذهب ويجئ ويتردد، قال أبو منصور: يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا، اللسان ج٥ ص١٨٦.يذوي: ذوي العودوالبقل، بالفتح يذوي ذيا وذويا، كلاهما: ذبل، فهو ذاو، وهو ألا يصيبه ريه، ويضر به الحر فيذبل ويضعف، وأذواه العطش، اللسان ج٤ ص٢٩٠

نجم: نجم الشيء ينجم، بالضم / نجوما: طلع وظهر، اللسان ج١٢ص٥٦٨.

ويوضح الشَّاعر في هذا البيت بأنَّه لا بد أن تمور السماء وتضطرب، وتتحرك، ويخفق فيها كل النُّجوم التي تبدو واضحة بارزة في السماء، فتذوي هذه النُّجوم، فالشَّاعر يقر بأنَّ السماء لا بد من أن تتحرك وتضطرب وتتشقق فلا خلود ولا بقاء لها، وتندثر نجومها التي كانت ظاهرة ولامعة تخلب الأبصار فتفقد روحها وبهاءها.

وقوله: " تمور السماء " كناية عن الاضطراب وعدم الاستقرار في مكانها، واختلاط بعضها في بعض، ويموج أهلها في بعض ويختلطون.

وهذا التَّصوير يشعر بالإنذار والإعلام بأنَّه لا رجوع ولا عودة إلى الدنيا؛ ولأنَّ السماء إنَّما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك، فلما لم يبق لهم عود إليها وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة.

ووصل بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى. وهذا الوصل يشعر بأنَّ السماء قد اضطربت وخفي كل ما فيها.

وفي التّعبير بقوله:" ويذوي بها كل نجم نجم" كناية عن اختفاء هذه النُّجوم وعدم بروزها وخروجها وهذا إنْ دل يدل على انتهاء الزمان وأنَّه قد أزف بالرحيل. وبين " نَجْم " ونَجَم" جناس اشتقاق، حيث إنَّ المعنى مختلف فالنجم المراد به الكوكب الذي في السماء و"نَجَمَ " ظهر ووضح.

وفي البيت السادس والثمانين يتحدث الشَّاعر عن أنَّ الفرقدين اللذين في السماء قد يغيبين، كم بانَّ في الهرمين الهرم إنَّ هذين النجمين المضيئين سيخمد نورهما يومًا ما، ويخبو ضياؤهما كما أنَّ الهرمين سيشيخان ويكبران، ويتغير مظهرهما الموحي بالقوة والخلود وسواء كان يعني هرمين هندسيين أو على النَّفس والعقل فالكل لا محالة فان متغير. قائلًا:

٨٦ –ويظهرُ في الفرقدينِ العَمَى كمَا بَان في الهَرمين الهَرَم[١].

١ الفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان، ولكنهما يطوفان بالجدي، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب، وقيل: هما كوكبان في بنات نعش الصغرى. الهرمين: العقل والرأي، المعجم الوسيط ٢ص٩٨٣، الهرم: الشّيخ يبلغ أقصى الكبر والعقل والنَّفس يقال لاأدري بم يولع هرمك، المعجم الوسيط ج٢ ص٩٨٣.

في قوله:" يظهر في الفرقدين العمى" كناية عن عدم ظهور هذين النجمين اللذين لا يغيبان.

وفي البيت يتضح التّشبيه التمثيلي، حيث شبه عدم ظهور هذين النجمين وأصبح العمى هو المسيطر عليها كما يكبر العقل ويهرم، وهذا التَّصوير يشعر بأنَّه لا يبقى شيء كما هو عليه، وإنَّما كل شيء سيتغير، فالنجمان المضيئان في السماء اللذين يوحى إليهما بالقوة والخلود سيكون مصيرهما الفناء والانتهاء.

وبين يظهر " و" العمى" طباق خفي، أوضح المعنى، وأبرزه حيث يستلزم من الظهور والوضوح البصر والرؤية اللذين هما ضد العمى.

وبين " الهرمين" و" الهرم" جناس اشتقاق، حيث إن الهرمين اسم للعقل، والكلمة الأخرى من الهرم بمعنى الكبر.

٨٧-وليس السَّماءُ كمَا قد رأيتَ بالشُّهب إلا أديمَ حَلَمْ.[١]

وفي البيت السابع والثمانين يتحدث الشَّاعر بأنَّه ليس السماء كما ترى مليئة بالشهب وإنَّما أديم حلم، إذا تأملت السماء وما يتساقط منها من شهب وجدت ذلك شبيها بجلد أصابته هذه الآفة ففسد وتثقب وتشقق وربما كان يشير إلى قوله تعالى:" إذا السماء انشقت(الانشقاق آية١) " والبيت كناية عن أنَّه ليست السماء كما ترى مليئة بالشهب وإنَّما أديم حلم.

ويتضح التّشبيه الضمني في البيت، حيث، شبَّه السماء وما يتساقط منها من الشهب بجلد أصابته هذه الآفة ففسد وتثقب وتشقق.

المقطع التاسع: دعاء وثناء.

٨٨-ونجْمُـــك فـــي كُـــلِّ ذَا لَا هَـــوَى وزُكنُـــك فـــي كُـــل ذا لا انهـــدمْ

٨٩-تَـــــدومُ ويقســـــم فينـــــا نـــــداكَ فأمـــــا عُـــــلاكَ فمَـــــا يُقتَسَـــــمْ

٩٠-وأربعـــــةٌ فـــــي ممـــــا وهَبـــــت نَفْـــــــسٌ وروحٌ ولحـــــــمٌ ودَمْ

---

١ الشهب، النُّجوم السبعة، المعروفة بالدراري، اللسان ج١ ص، ٥١٠الحلم: بالتحريك: أن يفسد الإهاب في العمل ويقع فيه دود فيتثقب، وأديم حلم وحليم: أفسده الحلم قبل أن يسلخ، اللسان ج١٢ ص ١٤٧.

هذه الأبيات دعاء للممدوح بأنَّ يديم الله عليه السناء والرفعة وثبات أركان الملك، ويدعو له بالدوام ويدعو له بالدوام، وأحسب في ذلك مبالغة غير محمودة، فالبقاء والدوام ولكن لعله يريد طول العمر، ولأنَّ كرمه ونداه كثير جدا، فهو يكفي الجميع لو قسم فيهم ولكنَّ رفعته ومقامه العالي لا يجرؤ أحد في الدنو منهما، ولا يطمع في أن يكون له نصيب منه فهو لا يقتسم، وإنَّما هي مقصورة عليه، ثم يقول إنّك صاحب الفضل في أربعة أشياء من مكوناتي نفسي، وروحي ولحمي، ودمي، ولا أدري كيف يستساغ ذلك، وهو يجعله واهب كل هذا فأين الله؟ ولكن يمكن أن يكون على سبيل الاعتراف بالفضل في التقوية، والمساندة، والانتماء، والمساعدة في حفظ كل ذلك بالهبات والعطايا والولاية.

وإضافة " نجم" إلى " كاف الخطاب" إشارة إلى تعظيم الممدوح بعدم إخفات نجمه، وهذه الجملة خبرية لفظًا إنشائية معنى، والمراد بها الدعاء له بالرفعة والسمو، وألا يهوى نجمه، ويبقى رفيع الشأن بعيد المنزلة ثابت أركان الملك.

وإضافة " كل" إلى "ذا" تشعر بعلو شأنه ومكانته في كل الصفات التي اتسم بها الشَّاعر. والتّعبير بقوله:" ونجمك في كل ذا لا هوى" كناية عن أنَّه باق لا يسقط ولا يهوى، فهو دائم وثابت في مكانه لا يتغير.

ووصل بين الشطرين لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، ولا يوجد مانع من الوصل.

وقوله:" وركنك في كل ذا لا انهدم" كناية عن أنَّ ركنه قائم ما انهدم رغم كل الأحداث التي حدثت، وإضافة " ركن" إلى " كاف الخطاب" لتعظيم ذلك الركن، وأنَّه ثابت أركان الملك لا يستطيع أحد هدمه أو المساس به. وإضافة " كل" إلى "ذا" في قوله:" كل ذا لا انهدم" يشعر بتعظيم ذلك الركن الثابت الذي لا يهزه شيء. ونلحظ الموازنة بين الشطرين التي أضفت على البيت موسيقى عذبة.

وفي البيت التاسع والثمانين يتحدث عن أن الندى باق واستفاد منه الجميع أما علاه فلا يقاسمه فيه أحد. قائلا:

٨٩-تَدومُ ويقسمُ فينا نداكَ فأمَّا عُلاكَ فما يُقتَسمْ.

عبَّر بالمضارع " تدوم" لتجدد الفعل واستمراره، فالتّعبير بالفعل المضارع له الأثر البالغ في إبراز المعنى. وهذه الجملة خبرية لفظًا إنشائية معنى ومعناها الدعاء له بالدوام والبقاء.

ونلحظ المبالغة في البيت بقوله:" تدوم " وأحسب أنَّ في ذلك مبالغة غير محمودة، فالبقاء والدوام لله، ولكن لعله يريد طول العمر.

ووصل بين " يقسم " و" تدوم" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى. والتّعبير بقوله:" تدوم ويقسم فينا نداك " كناية عن أنَّ نداه شاع وذاع بين الناس ويتقاسمه الناس جميعًا.

وقوله:" يقسم نداك" شبه الندى بشيء يقسم، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التَّصوير يشعر بشدة كرم الممدوح، فهو يكفي الجميع لوقسم فيه لزاد وفاض، وفيه كذلك من المبالغة في كرم الممدوح ونداه الذي يدانيه ولا يضاهيه كرم.

والتّعبير بقوله:" تدوم ويقسم فينا نداك" أسلوب خبري ومعناه الإنشاء وهو الدعاء له بدوام الكرم والعطاء والكرم.

وإضافة " ندى" إلى " كاف الخطاب" في قوله:" نداك" يشعر بتعظيم ذلك الندى واختصاص الممدوح به.

وإضافة "علا" إلى " كاف الخطاب" في قوله:" علاك" لتعظيم ذلك العلا وتفخيمه.

والتّعبير بقوله:" فأما علاك فما يقتسم" كناية عن أنَّ علو الرفعة والمكانة التي وصل إليها الشَّاعر لم يصل إليها أحد، ولا يدانيه مرتبة ولا يقاسمه فيها أحد، فمقامه العالي لا يجرؤ واحد في القرب منه، ولا يطمع في أن يكون له نصيب منه فهو مما لا يقتسم، وإنَّما هي مقصورة عليه وحده.

وبين " يقسم" ويقتسم " جناس اشتقاق أضفى على البيت موسيقى عذبة.

وفي البيت التسعين يتحدث الشَّاعر عن أربعة أشياء مما وهبها له وهي النَّفس والروح واللحم والدم.

٩٠-وأربعةٌ في ممَا وهبتَ نفسٌ وروحٌ ولحمٌ ودمْ.

قدم الشَّاعر كلمة" أربعة" وتنكيرها للتشويق إلى ذكر المسند إليه مما يدعو المخاطب إلى التَّفكير والتَّأمل والتدبر وإثارة الذهن، فإذا جاء المشوق إليه كانت النَّفس مهيأة

إلى ما سيأتي بعدها، وفيها كذلك إجمال بعد تفصيل، فقد ذكر لفظ أربعة ثم أخذ يفصل هذه الأشياء الأربعة التي وهبها له الممدوح، فإذا جاءت كانت النَّفس مهيأة إلى ما سيأتي بعده فتمكنت النَّفس فيه أفضل تمكن.

وأخذ يفصل هذه الأشياء وهي " النَّفس، والروح، واللحم، والدم" وتنكير كل من "النَّفس والروح واللحم والدم " لتعظيم كل منها وتفخيمها فهذه العظمة، وتلك الفخامة جاءت من منح القاضي الفاضل له هذه الأشياء.

ولا أدري كيف يستساغ ذلك وهو يجعله واهب كل هذا فأين الله الواهب الفضل المجزل، وأرى أن ذلك مبالغة مردودة، فقد نسب الفضل في هذه الأشياء الأربعة إلى الممدوح وهو الذي وهبنا هذه الأشياء ومن علينا فهو المستحق للفضل والمنة وليس الممدوح.

ويمكن أن يكون على سبيل الاعتراف بالفضل في التقوية والمساندة والانتماء والمساعدة في حفظ كل ذلك بالهبات والعطايا والولاية.

والجار والمجرور في قوله:" فيَّ" يشعر بالاختصاص، فالشَّاعريعترف بالفضل للقاضي الفاضل في أنَّه سبب بقائه فقد وهب له النَّفس والروح واللحم والدم، وهذه الأشياء هي التي وهبها لنا.

والبيت كناية عن فضله عليه ومساندته له " فكل ما فيه ما هو إلا هبة من الممدوح للقاضي الفاضل.

ثانيا: الخصائص العامة للقصيدة

الألفاظ

اتسمت بما يلي:

أولا: السُّهولة والوضوح، حيث جاءت ألفاظ القصيدة واضحة لم يحتج إلى البحث والتنقيب عنها في كتب اللغة فليس فيها من الغرابة التي تخل بفصاحة الكلام ،وإن كانت خفيت بعض معاني الألفاظ، ولكنها جاءت متناسبة مع المعاني التي أراد الشَّاعر إيصالها.

ثانيا: اشتملت ألفاظ القصيدة على كثير من الممدود التي تمتاز بجرسها فمن خلال هذه الأحرف أراد إيصالها إلى المتلقي.

ثالثا **كثرة التعبير بالجمل الخبرية** مما يدل على تقرير هذه الأفعال وتأكيدها للممدوح، وغلبت على القصيدة بأكملها سواء التعبير بالجمل الاسمية أو الجمل الفعلية من مثل قول الشاعر:

فَبَـــــرقُ مُقبَّلِـــه لا يَشَـــام ووردةُ وجنَتِـــــه لا تُشَـــــــمْ

وكذلك قوله:

وإنَّ الملـــوكّ به كالعَبـــــيدِ وإنَّ الأُسُـــــودَ بـــه كالغَنَمْ

وقد استطاع الشاعر أن **يوظف التنكير والتعريف** في معانيهما المناسبة لها، وكذلك لجأ شاعرنا إلى التعريف بالعلمية، والضمير، والإضافة، واسم الموصول واسم الإشارة، وكان للتعريف بالضمير التصيب الأكبر من هذه المعارف.من مثل قوله:

٥٩-رَددتَ أبى بعد أن كان سَـــارَ وكادت مطيـــــــتُه أن تُزَمْ

٦٠-رددت إرادتَـــــــه إذ أرادَ وثَبَّطتَ عزمَتَـــــه إذْ عَزمْ

٦١-نَهَيـــتَ عزيمَتـــه فانتـــهى رسمتَ إقامَتـــــه فارتَسَـمْ

وكذلك قوله:

ومَا أنتَ مِن جِنسِ مَن يُصْطَفَي ولا أنتَ مِنْ نَـــــوع ما يُحْترمْ

حيث أراد الشاعر من خلال التعبير بضمير المخاطب أن يذكر فضل الممدوح عليه وعلى أبيه من خلال تعيين الخطاب له ، فقد كان حريصا أن يبرز تلك الأفعال إلى

الممدوح ويسندها إليه، وذلك عن طريق إسناد الأفعال إلى الضمائر، وذلك لأن المقام يقتضي مزيدا من التقرير والتوضيح. وكذلك قوله:

ومَا أنتَ مِن جِنسِ مَن يُصْطَفَي ولا أنتَ مِنْ نَـــــوع ما يُحْترمْ

وعبر بأسلوب القصر وكان طريقه التقديم في مواطن كثيرة

أما الأساليب الإنشائية فلم تكن كثيرة كثرة الأساليب الخبرية كأسلوب الأمر والنهي والاستفهام والتمني، ومن ذلك.

ومَحبُوبةٍ فَوْقَ شَمسِ الضُحَى فلا تَحْفلن ببدرِ الظُّلَم

ومن النداء:

١٧-أَيَا عَاذِلـــي فِيـــــه لمَّـــــا رَآهُ لِئنْ كُنتَ أعْمَى فإنَّي أصَـــمْ

وقد كان **للتوسط بين الكمالين** النصيب الأوفى في القصيدة من خلاله الجمل بعضها مع بعض ، وذلك لإتاحة الفرصة للشاعر أن يأتير بجمل متتابعة متناسبة متجانسة ليخدم المعنى والفكرة التي أراد إيصالها للآخرين من ذلك.

وكان للتكرار بعض الألفاظ أثره في تصوير ما يجيش بصدر الشَّاعر من أحاسيس ومشاعر أراد أن يتلقفها السَّامع وتجذب انتباهه، ومن خلال هذا التِّكرار أراد الشَّاعر أن يبث أفكاره ومعانيه التي أراد إيصالها للممدوح.

ومن هذا التِّكرار الذي أكد فيه الشَّاعر أن الممدوح هو أوفى الناس بالعهود وراع للمصالح ومنفذ للوعود غير ناكث بها وقد كرر أسلوب التوكيد مرتين في قوله:

وأنك أوفاهم بالعهود وأنك أرعاهم للذمم.

وتظهر براعة الشَّاعر حين أراد أن يعبر بأنه ليس من أصحاب المكانة السامقة، ولكن عشق الممدوح يتخطى كل شيء. قائلا:

فما أنا من أهل ذاك المقام ولاأنا من رقم ذاك القلم.

المعجم الشِّعري:

أقام الشَّاعر قصيدته من أجل مدح الملك القاضي الفاضل وهو غرض عظيم يتطلب حشد كثير من الألفاظ والأساليب التي تساعد تحقيقه، ومن ثم فإن معجم القصيدة الشِّعري لا يمكن حصره في جذور معينة، لأنه جاء متنوعا بتنوع المسالك التي سلكها الشَّاعر لتوصيل أفكاره إلى المتلقي.

الصُورة الشِّعرية

تعد الصُّورة من أهم عناصر العمل الأدبي، فهي التي تثير عواطفه وتلهب مشاعره ومن خلالها يستطيع الشَّاعر أن ينقل ما يريد التّعبير عنه من خلال تلك الصور فيقربها إلى الأذهان.

الصُّورة التّشبيهية

لجأ الشَّاعر إلى التّشبيه في بعض المواضع من القصيدة وذلك لما له من الخصائص والأسرار التي أشار إليها الإمام عبدالقاهر الجرجاني في قوله: " فالتمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا.[1]

ومن ذلك وقد كان للتَّشبيه الأثر الواضح في تقريب الصُّورة إلى الأذهان وإخراجها من خفي إلى جلي في قول الشَّاعر:" مديحك كالمسك "، حيث شبه الشَّاعر مدح الممدوح والثَّناء عليه بالمسك والطيب الفواح الذي ينبعث، ويشمه الجميع وهذا المدح لا يخفى على أحد.

وهذا التَّصوير يشعر بذيوع وانتشار هذا الرائحة الفواحة التي بدت من مدحه، وأنَّ الممدوح من الشهرة والذّيوع بمكان.

الاستعارة

استعمل الشَّاعر الاستعارة؛ لأنَّها تجعل من الجماد حيًّا ناطقا وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر: " كما أنَّها تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ... وبها نرى الجماد حيا ناطقًا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مينة، والمعاني الخفية بادية جلية الإتيان ببعض الأمثلة.

ومن ذلك قوله: " يُصْفي الشِيَم " تصوير، حيث شبه الشيم بشيء يصفى على سبيل الاستعارة المكنية.

---

١ أسرار البلاغة ١١٥.

وهذا التَّصوير يشعر بمدى أثر النَّسيب على الشيم، فهو يصفيها من الشوائب، أو ما يعكر صفوها، وبلاغة الاستعارة تكمن بما فيها " من تشخيص وهبة حياة، وذلك أنَّ كميَّة الخيال فيها أكبر من كميته في الاستعارة التَّصريحية، من حيث إنَّ الاستعارة المكنية صورة خيالية أصيلة ملحقة بها صورة خيالية فرعية من قرينتها التخييلية والأخرى، والاستعارة المكنية فيها الكناية عن المشبه به المحذوف بما استبقيناه منه دلالة عليه، وهذا يعني أنَّ ما اجتمع لنا في صورة بيانية واحدة الاستعارة المكنية مجازا وكناية معا."

ومن صور الاستعارة قوله:" رَماهُ الهوى "، حيث شبه الهوى بجندي يُرمى بالسهام، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التَّصوير يُشعر بمدى حب الشَّاعر للممدوح إلى درجة العشق، وكأنَّ هذا الحب قد أدى به إلى أنَّه لا يستطيع الإفلات منه، ويوحي كذلك بسيطرة المحبوبة التامة على قلب الشَّاعر، وأنَّ الشَّاعر لا يستطيع الفكاك من هذا الحب، وقلة حيلته أمام المحبوبة.

ومن تصوير المعنويات بأشياء حسية قول الشَّاعر:

وبعت الكرى واشتريت السهاد فما ذقت طعم الكرى منذ كم

حيث شبه الشاعر الكرى وهو النعاس بشيء يباع، وهذا التَّصوير يوحي بعدم مقدرة الشَّاعر أن يهيم بخياله الواسع في رسم تلك الصُّورة التي تبدو، وكأنها شيء حقيقي.

ومن الصور الكنائية:

وقوله:" واستطبت الألم" كناية عن استعذاب الشَّاعر الألم الذي يصيب الإنسان بالوجع والألم، فصار شيئًا مستطابًا لديه، والتّعبير يدل على مدى عشقه وحبه الذي انتباه من جراء المحبوبة.

وبلاغة الكناية تكمن في تحسين المعنى، لأنَّها تنقل ما في النَّفس من أحاسيس وذلك لأنَّ الكناية " من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده تعبيرا موجزًا هادفًا لطيفًا، يخفي وراء ظلاله أهدافًا ولطائف يريدها ويقصدها"

كما أنها تمتاز عن غيرها من الأساليب بكونها تأتي بالمعنى مقرونا بالدّليل الذي يساعد في الإقناع به إثباتا أو نفيا.

الوحدة العضوية:

التزم الشَّاعر العربي القديم بالمقدمة في قصيدته، فهي تلك الظاهرة الفنية التي برزت مع نشأة القصيدة في العصر الجاهلي، وظل الشِّعراء يصدرون بها قصائدهم على امتداد العصور الأدبية، والمقدمات أنواع، فإلى جانب المقدمات الغزلية والطللية كانت ثمة مقدمات أخرى في التشبيب والطيف وغيرها.[١]

يقول شيخ البلاغيين المحدثين " وليس في الشِّعر الجاهلي قصيدة مطولة تدور حول معنى واحد، وقد ذكر... أن هذا الجيل المتميز من شعرائنا لم يفعل ذلك، وهو قادر عليه لو أراد، وذلك لأنهم يعلمون أن النَّفس تستمد نشاطها حين تنتقل من معنى إلى معنى ، وأنها بداخلها الملل حين يطول بها الحديث في معنى واحد ، وبراعة الشَّاعر وجودة طبعه في أن يصير هذا التنوع بنية معنوية ولفظية واحدة ، وأن تصير علاقة الفصل ببقية فصول القصيدة التي يقترن بها كعلاقة الجملة بالجملة في بنا الفقرة ، وعلاقة البيت بالبيت داخل الفصل كعلاقة الكلمة بالكلمة في بناء الجملة، وهو ترابط تمسك به علاقة إعراب كالعلاقة بين الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر.[٢]

الموسيقى:

تهب الكلام عموما مظهرا من مظاهر العظمة والجلال، وتجعله مصقولا مهذبا، تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، وكل ذلك مما يثير فينا الرغبة في قراءته وإنشاده ... والشِّعر في الحقيقة ليس إلا كلاما موسيقيا تنفعل لموسيقاه النُّفوس، وتتأثر بها القلوب.[٣]

الموسيقى الخارجية:

"يأتي النَّص الشِّعري مسيجا بموسيقى خارجية تتمثل في الوزن والقافية، وهذان التشكيلان الموسيقيان يؤطران النَّص، ويضعانه في تحديد معين لا يسمح بأي خرق

---

١ مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠، ص ١١٤.

٢ الشعر الجاهلي دز محمد أبو موسى ٢٧-مكتبة وهبة.

٣ موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس ١٦، ١٧ بتصرف، الطَّبعة: الخامسة ١٩٨٧م

يعتريه، وإلا فإن النَّص يفقد انتظامه الصوتي المضطرب وبهذا يرتسم للنص تلوين موسيقى خارجية، ويحقق له ترابطا صوتيا شكليا؛ نظرا لوحدة الوزن ووحدة القافية.[1]

القافية الساكنة

أنشد رجل من أهل المدينة أبا عمرو بن العلاء قول ابن قيس الرقيات: إنَّ الحوادث بالمدينة قد أوجعتني وقر عن مرويته، فانتهره أبو عمرو، وقال: ما لنا ولهذا الشِّعر الرخو إنَّ هذه الهاء لم توجد في شيء من الكلام إلا أرخته، فقال له المدني: قاتلك الله، ما أجهلك بكلام العرب، قال الله _عزوجل_: " ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطاني " (الحاقة آية ٢٨، ٢٩) "وقال: (يا ليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه الحاقة ٢٥،٢٦) فانكسر أبو عمرو انكسارًا شديدًا " ، وأنشد ابن قيس الرقيات هذا الشِّعر لعبد الملك بن مروان، فقال: أحسنت يا قيس لولا أنَّك خنثت قافيته، فقال: يا أمير المؤمنين ما عدوت قول الله عزو جل في كتابه :" ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه، فقال عبد الملك :" أنت في هذا أشعر منك في شعرك"

الموسيقى الداخلية

أتى الشاعر بألفاظ القصيدة خالية تمامًا من الغرابة والألفاظ المستوحشة، فكانت الألفاظ في انسجام وترابط مع بعضها البعض وأن يكون هناك ائتلاف وتناسب بين الألفاظ والمعاني ومن هذه الأشياء على سبيل المثال البديعيات التي أتى بها شاعرنا في قصيدته من مثل.

التَّصريع

وقد وصف قدامة بن جعفر القوافي التي كان مصراعها وضربها من جنس القافية حينما تحدث عن نعوت القوافي قائلا: " أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن يقصد لتعبير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول المجيدين من الشُّعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون

---

١ أثر التشكيل الموسيقي في تماسك النَّص الشعري لموسى بن دربان بن موسى العدد ج ١١٥، ص١٢٧، ١٢٨.

عنه، وربما صرعوا أبياتا أخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشَّاعر وسعة بحره.[1]

ولتحقيق الموسيقى الداخلية أتى الشَّاعر بالتَّصريع على عادة الشُّعراء الأقوياء في بداية قصائدهم، فالتمس التَّصريع في بداية القصيدة، والذي يدل على قدرة الشَّاعر، ومقدرته الفائقة على التنوع في الأساليب، وسعة كلماته، وقد حرص شاعرنا على تحقيق الموسيقى الداخلية للبيت.ومن التصريع قول الشاعر:

مديحك كالمسك لا يكتتم به يبتدى وبه يختتم.

فبين شطري البيت تصريع حيث، اختتم الشطر الأول بما اختتم به الشطر الثاني من خلال الربط بين الشطرين بين عروضه وضربه إضافة إلى ما بينهما من الجناس النَّاقص.

ومن ذلك أيضا قول الشَّاعر:

فَبَرقُ مُقبَّلِه لا يَشَام ووردةُ وجنَتِه لا تُشَمْ.

وكذلك قوله:

وقد تعانق التَّصريع في البيت مع المماثلة مما أضفى على البيت موسيقى عذبة، وزاد البيت قيمة فنية تتمثل في أنَّه يفصح عن القافية والروي الذي بجانب وقعه التنغيمي الذي يطرب النَّفس ويهيؤها للاستماع إلى باقي الكلام وعقباه كيف تكون.

ولا تَعجَبَن لحَياةِ الهُمُومِ حَيَاةُ الهُمُوم بمَوْتِ الهِمَمْ.

وقد أراد الشَّاعر أن يصور الحالة التي عليها من التعجب والدهشة بأن حياة الهموم لا تكون إلا بتثبيط الهمم وموتها وانحدارها وقد تعانق الجناس والتَّصريع في أداء المعنى والربط بين الألفاظ بعضها ببعض.

ونلحظ أن الشَّاعر قد وفق في اختيار ألفاظه ومعانيه، حيث جاءت ألفاظه قوية ومعانيه في غاية الجمال مما يدل على براعة الشَّاعر وعنايته باختيار وانتقاء ألفاظه التي تعطي نغما موسيقيا تضفيه على البيت وقد جاء في قوله:

فمَا أنَا من أهلِ ذاكَ المَقَام ولا أنَا من رَقْم ذَاكَ القَلَم.

التفويف

---

١ نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٤.

وكان للتفويف أثره الجمالي في البيت فقد" كسى الكلام رونقًا وجمالًا، فقد جاء الشَّاعر بالمعنى في جمل متناسبة مستوية المقادير، وكذلك أبرزت التَّناسب بين الجمل الثلاث في قوله:" يسر النُّفوس، ويُذكي العقول، ويُصفي الشِيَم) وهذا التَّناسب بين الجمل الفعلية، وقد عطف بعضها على بعض، لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى.

وإنَّ النَّسيب يَسرُّ النُّفوس ويُذكي العُقولَ ويُصفي الشِّيمْ.

الجناس

جاء في القصيدة عفو الخاطر فلم يكن مكروها ولا مستكرها فكان له دوره في خدمة المعنى ولا يكون الجناس حسنا إلا إذا استدعاه المعنى وتطلبه، ونلحظ أن الجناس الذي أتى به الشَّاعر في القصيدة يعد أداة ربط بين الألفاظ ومعانيها ومدى التَّماسك بينهما فضلا عن الموسيقى التي تصحبه، ومن ذلك قول الشَّاعر:

وإنَّ الأجلَّ يراك الأقَلّ ولو كُنتَ ممَن رَقَى أو رَقَمْ.

فنلحظ الجناس النَّاقص بين "رقى، ورقم" وكان أداة لربط الألفاظ بعضها ببعض فضلا عن الموسيقى العذبة التي أصفت على البيت حسنا وبهاء.

الخاتمة

تتمتع لغتنا العربية بثراء من التراكيب والأساليب والمفردات التي لها أسرارها البلاغية وسماتها الفنية وهذا مما برز في القصيدة فقد وظف الشَّاعر ألفاظ القصيدة فجاءت متنوعة.

- الألفاظ والتراكيب التي استخدمها الشَّاعر كانت أكثر إيحاء بشكل واضح، وأقوى تأثيرا في نفس المتلقي.
- كثرت الأساليب الخبرية في القصيدة كثرة كبيرة فقد كانت أبيات القصيدة كلها من ضمن الأسلوب الخبري الذي يثبت الفكرة ويقرها في ذهن السَّامع وهذه الطابع الذي غلب على ألفاظ القصيدة.
- تنوعت الأساليب الإنشائية في القصيدة بين الأمر، والنداء، والاستفهام، والنهي
- وكان للتعريف دوره البارز في القصيدة فقد تنوعت المعارف بين التَّعريف بالضمير، والعلم واسم الإشارة، واسم الموصول، والإضافة، والمعرف بـ " أل " وقد أوفت بالغرض الذي سيقت له فاستدعاها المقام وتطلبها.
- وقد كثرت الإضافات وهذا مما تميز الشَّاعر به في القصيدة لأغراض مختلفة منها التَّعظيم والتفخيم والتحقير والإيجاز والاختصار وإغنائها عن تفصيل متعذر.

- أكثر الشَّاعر من المحسنات البديعية كالجناس، والتَّصريع، والمماثلة، والطِّباق، والمقابلة، والتقسيم، والتفويف، وغيرها، ولم تأت مستكرهة مستنكرة، وإنما أتت عفو الخاطر حيث استدعاها المعنى وتطلبها.

فهرس المصادر والمراجع

١-الإبانة في اللغة العربية لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ،تحقيق د. عبد الكريم خليفة – د. نصرت عبد الرحمن – د. صلاح جرار_ د. محمد حسن عواد _ د. جاسر أبو صفية، النَّاشر: وزراة التُّراث القومي والثَّقافة – مسقط_ سلطنة عمان، الطَّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢-ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشِّعر، عبد العزيز الأهواني، الطَّبعة: الأولى، ١٩٦٢م، الأنجلو المصرية، القاهرة.

٣-الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السّيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطَّبعة الثَّالثة

٤-أثر التشكيل الموسيقي في تماسك النص الشعري، لموسى دربان العدد

٥-أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية للدكتور / أحمد علي أحمد.

٦-أساس البلاغة لأبي القاسم محمودبن عمرو بن أحمد الزَّمخشري جار الله (المتوفى: محمد باسل عيون السود، النَّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان – الطَّبعة: الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

٧-الأسلوبية وتحليل الخطاب، لمنذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط: الأولى عام ٢٠٠٢، سوريا.

٨-ألوان البديع في ضوء الطبائع الفنية، د. محمد علي فرغلي، طبعة ١٩٩٨م ص ١٠٠.

٩-الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النَّصرانية لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ) تحقيق: سالم بن محمد القرني، النَّاشر: مكتبة العبيكان الرياض، الطَّبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

١٠-الإيضاح للخطيب القزويني، الطَّبعة: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل _ بيروت، الطبعة: الثالثة.

١١-بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

١٢-البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار. دار المعالم الثقافية، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م.

١٣-البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، ط: الثَّانية، ١٩٩٢م.

١٤-البلاغة القرآنية في تفسير الزَّمخشري: د. محمد أبو موسى، القاهرة، ط: الثَّانية، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م.

١٥-البلاغة النبوية د. محمد رجب البيومي، ط. الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط. الأولى ٢٠٠٨م.
١٦-البلاغة والأسلوبية نقلا عن بلاغة أرسطو بين العرب واليونان لمحمد عبد المطلب.
١٧-البلاغة وقضايا المشترك اللفظي د. عبد الواحد حسن الشّيخ، من مؤسسة شباب الجامعة للنَّشر والتَّوزيع ١٩٨٦.
١٨-البيان والتَّبيين للجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، النَّاشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النَّشر: ١٤٢٣هـ.
١٩-بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الخطابي الرُّماني عبدالقاهر الجرجاني) ط_ دار المعارف.
٢٠-تاريخ الأدب العربي د. شوقي ضيف، النَّاشر: دار المعارف، -مصر، الطَّبعة: الأولى، ١٩٦٠-١٩٩٥م.
٢١-التَّصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، أ.د علي علي صبح، النَّاشر: المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.
٢٢-التَّعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف النَّاشر، النَّاشر: دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٢٣-التقابل الجمالي في النَّص القرآني دراسة فكرية وأسلوبية، لحسن جمعة، ٢٠٠٦م، دمشق، دار التميز
٢٤-التكرير بين المثير والتأثير لعز الدين السيد، ط: الثَّانية، دار الكتب المصرية ١٩٨٦م.
٢٥-تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري المروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، النَّاشر: دار إحياء التُّراث العربي-بيروت، الطَّبعة: الأولى ٢٠٠١م.
٢٦-جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنَّقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م.
٢٧-جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، الناشر : دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة : الأولى ١٩٨٧م.
٢٨-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، النَّاشر: المكتبة العصرية – بيروت، بدون تايخ.

٢٩-خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى، النَّاشر: مكتبة وهبة، الطَّبعة: الرابعة ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٣٠-الخصائص لعثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنَّشر، بيروت، د.ت

٣١-دراسات منهجية في علم البديع، د الشحات محمد أبو ستيت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٣٢-دلالات التراكيب دراسة بلاغية أ.د محمد محمد أبو موسى، النَّاشر: مكتبة وهبة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٣٣-دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، تحقيق: محمود محمد شاكر، محمود شاكر، الناشر: مطبعة المدني – القاهرة _ دار المدني جدة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٣٤-الدلالة والتعقيد النحوي دراسة في فكر سيبويه لمحمد سالم صالح، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر ٢٠١٤م

٣٥-ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٦-سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحقيقين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة: الثَّالثة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٣٧-الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء للدكتور محمد أبو موسى مكتبة وهبة ، ط: الثانية ١٤٣٣هـ ٢٠١١م.

٣٨-الصبغ البديعي في اللغة العربية أ.د / أحمد موسى، دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٣م

٣٩-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، النَّاشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطَّبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٤٠-الصِّناعتين لأبي هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، النَّاشر: المكتبة العصرية – بيروت، عام النَّشر: ١٤١٩هـ

٤١-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، النَّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢-الطِّراز، ليحي بن حمزة العلوي، النَّاشر: المعارف الرياض، ١٩٨٠م.

٤٣-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣هـ) ‘تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، النَّاشر: المكتبة العصرية للطباعة والنَّشر، بيروت_ لبنان، الطَّبعة: الأولى: ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

٤٤-عصر الدول والإمارات (مصر، الطَّبعة: الثَّانية ١٩٩٠م، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٠٣

٤٥-علم المعاني د. بسيوني فيود بتصرف، مؤسسة دار المختار، دار المعالم الثقافية، الطَّبعة: الثَّانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٤٦-الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، النَّاشر: دار العلم والثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة – مصر.

٤٧-فنون الأدب العربي المديح لسامي الدَّهان، دار المعارف، ط: الخامسة.

٤٨-القرآن والصُّورة البيانية د. عبد القادر حسين، النَّاشر: عالم الكتب، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م

٤٩-قضايا الشِّعر المعاصر لنازك الملائكة ط، دار العلم للملايين _ بيروت ١٩٨٣م.

٥٠-كتاب الألفاظ لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ) تحقيق:د. فخر الدين قباوة، النَّاشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطَّبعة: الأولى، ١٩٩٨م

٥١-العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، النَّاشر: دار مكتبة الهلال.

٥٢-القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعم العرقوسي ، الناشر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٥٣-الكنى والإسلام للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى :٢٦١هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، النَّاشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السّعودية، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

٥٤-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر -بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٥٥-اللباب البديع أ. د / محمد حسن شرشر، ط، الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٥٦-المثل السَّائر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، النَّاشر: مكتبة نهضة مصر الفجالة، بدون تاريخ.

٥٧-مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، (المتوفى: ٣٩٥) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النَّشر: مؤسسة الرِّسالة-بيروت، الطَّبعة: الثَّانية_ ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٥٨-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: ٧٧٠هـ) ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت.
٥٩-معاني التراكيب د. عبد الفتاح لاشين بتصرف، دار الطِّباعة المحمدية ١٩٨٢، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٢م.
٦٠-معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) تحقيق: إحسان عباس، النَّاشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطَّبعة: الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
٦١-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى ١٠٨٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، النَّاشر: دار ابن كثير -دمشق – بيروت، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦هـ.
٦٢-معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ بمساعدة فريق عمل، النَّاشر: عالم الكتب، الطَّبعة: الأولى ١٣٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٦٣-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار، النَّاشر: دار ال دعوة.
٦٤-مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.
٦٥-من أسرار التّعبير في القرآن حروف القرآن أ.د عبد الفتاح لاشين، النَّاشر: دار عكاظ للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
٦٦-من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، للدكتور حمزة الدمرداش زغلول، النَّاشر: المطبعة الإسلامية الحديثة، الطَّبعة: الأولى، ١٩٨٨م.
٦٧-الموسوعة العربية.
٦٨-موسيقى الشعر د، إبراهيم أنيس، الطبعة: الخامسة ١٩٨٧م
٦٩-النُّجوم الزّاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، طبعة: دار الكتب المصرية، القاهرة: ط: ٢ عام ٢٠٠٠م ص ٢٧٣، الوافي بالوفيات، طبعة إحياء التُّراث
٧٠-نقد الشِّعر لقدامة بن جعفر المتوفى: ٣٣٧هـ، النَّاشر: مطبعة الجوانب – قسطنطنية، الطَّبعة: الأولى ١٣٠٢هـ.
٧١-النُّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى الرُّماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د.
٧٢-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطَّبعة: ١٩٠٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥٩٥
٢	التمهيد	٥٩٩
٣	بلاغة التراكيب في القصيدة	٦٠٧
٤	المقطع الأول	٦٠٧
٥	المقطع الثاني	٦١٧
٦	المقطع الثالث	٦٣٤
٧	المقطع الرابع	٦٤٨
٨	المقطع الخامس	٦٨١
٩	المقطع السادس	٦٩٤
١٠	المقطع السابع	٦٩٨
١١	المقطع الثامن	٧٠٠
١٢	المقطع التاسع	٧٠٦
١٣	الخاتمة	٧١٨